ذو القرنين وأهل الكهف

السلسلة الفكرية

الجزء الثاني

ضمن الاستنتاجات الموجودة في هذا الكتاب فإن غلبة الاحتمالات أن ذا القرنين هو رحّالة من يهود أثيوبيا (أو قريبًا منهم) عاش في حوالي ٣٦٠ ميلادية (تزيد أو تنقص قليلًا)، وصل في ترحاله إلى مدينة الداخلة في الصحراء الغربية شمال موريتانيا، وتوجد هناك حتى اللحظة ينبوع ماءٍ حار (عَيْنٍ حَمِئَةٍ) على بعد ٨ كم من المحيط الأطلنطي.

ثم واصل ترحاله حتى وصل إلى آخر اليابسة في العالم القديم من الشرق على نفس خط عرض العين الحمئة، ويقطع هذا الخط قمة جبل في تايوان ارتفاعها ٢٩٧٢ متر، وقمة بهذا الارتفاع تكون فوق السحاب، دون شجر أو ظل يستر الشمس (لَمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا).

ثم استمر في ترحاله حتى وصل إلى منطقة أذربيجان وجورجيا، وهما أرض سهلة بين سلسلتين عظيمتين من الجبال الشاهقة (بين السَّدَّين): سلسلة جبال القوقاز الكبرى شمالًا، وسلسلة جبال القوقاز الصغرى جنوبًا.

وفي شمال أذربيجان وجورجيا تقع أرض الشركس وهم شعب كريم ذكي عريق منذ القدم في هذه المنطقة، ويغلب على الظن أنهم هم من اخترع العجلة قبل ٥ آلاف سنة، لكن منطقتهم كانت وعرة التضاريس، ولهذا فقد استقلت القرى عن بعضها البعض (رغم قربهم الجغرافي)، ومع انعزالهم فقد اختلفت لغاتهم، وضمن شهادة بيليني (المؤرخ الروماني) وابن الفقيه (المؤرخ الفارسي) والمسعودي (المؤرخ العربي) فإن هذه المنطقة على صغرها كانت تحوي ما يزيد عن ٧٠ لغة مختلفة (وَجَدَ مِن دُونِهِما قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا)...

ISBN 977-780-062-2

عمر "محمد فؤاد" أبو الرُّب
السلسلة الفكرية - ٢
ذو القرنين وأهل الكهف

السلسلة الفكرية

٢

قال تعالى: أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (الكهف - ٩).

البتراء هو الاسم الروماني لهذه المدينة الأثرية المشهورة ولكن اسمها الأصلي (الاسم النبطي) هو الرَّقيم...

ذو القرنين وأهل الكهف

عمر "محمد فؤاد" أبو الرُّب

عالم الكتب

عمر "محمد فؤاد" أبو الرُّب

السلسلة الفكرية – الجزء الثاني

ذو القرنين
وأهل الكهف

عالم الكتب للنشر والتوزيع
ش. جواد حسني – القاهرة
ت: 23924626-202+
www.alamalkotob.com
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
(نسخة إلكترونية دون فواصل)

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة 4

الفصل الأول – ذو القرنين 6

1.1- مشرق الشمس ومغربها 6

1.2- أرض ما بين السَّدَّين 14

1.3- من دونهما 17

1.4- أهل الردم 20

1.5- زمن ذي القرنين 26

1.6- بلد ذي القرنين 29

1.7- ذو القرنين أهو اسم أم لقب؟ 32

1.8- اللقاءات الثلاث 32

1.9- رحلة ذي القرنين 33

1.10- مطلع الشمس ومشرقها 35

الفصل الثاني – أهل الكهف 40

2.1- من هم أهل الكهف؟ 42

2.2- سيقولون ويقولون ويقولون 45

2.3- العدد سبعة من علم .... ولكن هل هو صحيح؟ 48

2.4- قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا 49

2.5- التوجيب والإهمال 52

2.6- كم لبث الفتية في الكهف؟ 52
2.7 موقع الكهف 58
2.8- لام العاقبة في "لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ" 69
2.9- "وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ" 69
2.10- "وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ" 69
2.11- لماذا الفرار والرعب؟ 70
2.12- الرُسل لا تخاف 70
2.13- عدد الفتية في الكهف 71
2.14- قصة أهل الكهف 73
الفصل الثالث – يأجوج ومأجوج 74
3.1- يأجوج ومأجوج في الكتب الأخرى 74
3.2- يأجوج ومأجوج، هل هما اسمان أم اسم واحد من كلمتين؟ 75
3.3- من هم يأجوج ومأجوج؟ 77
3.4- الأحاديث المتعلقة بيأجوج ومأجوج 84
المراجع 100
نبذة عن المؤلف 102
مؤلفات سابقة للمؤلف 103

المقدمة

يُقدم هذا الكتاب مجموعة من الاستنتاجات والنظريات الجديدة فيما يتعلق بذي القرنين وأهل الكهف، **ويجب التنبيه هنا** أن هذه الاستنتاجات منبية على غلبة الاحتمالات، لأن المعلومات المتوفرة قليلة.

وطريقة التحليل التي تم استخدامها في هذا الكتاب هو النظر والانتباه للمعلومات المتوفرة، ثم وضع الاحتمالات الممكنة، ثم مقارنة الاحتمالات بعضها ببعض لترجيح إحداها.

ولهذا السبب فإن الاستنتاجات في هذا الكتاب ليست يقينية، بل إن بعضها لا يصل إلى غلبة الظن وإنما غلبة التخمين، ولكن المؤلف اجتهد في تحري الصدق، وبَذَلَ الجهد في وضع الاحتمالات، وبَذَلَ الجهد في عمليات الترجيح،، ولذا فمهما كانت درجة الصحة والخطأ في الاستنتاجات المُقدمة إلَّا أنها تضع زاوية نظر جديدة لموضوعي ذي القرنين وأهل الكهف، وتُقدم خطوة أخرى جديدة في طريق البحث عن الحقيقة.

وحيث إن المعلومات المتوفرة قليلة فإن هذا الكتاب اعتمد على أسلوب الجيكسو (Jigsaw): فهناك عناوين مستقلة سنقوم بشرحها، ثم في النهاية سنجمعها لوضع الصورة الكلية للقصة.

وضمن الاستنتاجات الموجودة في هذا الكتاب فإن ذا القرنين هو من يهود أثيوبيا (أو قريبًا منهم)، عاش في حوالي 360 ميلادية (تزيد أو تنقص قليلًا)، ووصل في ترحاله إلى مدينة الداخلة في الصحراء الغربية على ساحل المحيط الأطلنطي، وتوجد هناك حتى اللحظة ينبوع ماءٍ حار (عَيْنٌ حَمِئَة)، وإحداثياتها: 23.89975N 15.7114W.

ثم واصل ترحاله حتى وصل إلى جزيرة تايوان، وخط العرض الذي يقطع العين الحمئة (خط 23.89975N) يَمر على قمة جبل في تايوان ارتفاعها 2972 متر (إحداثيات: 23.89975N 121.26317E)، وقمة بهذا الارتفاع تكون فوق السحاب، دون شجر أو ظل يستر الشمس (لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا).

ثم واصل ترحاله حتى وصل إلى منطقة أذربيجان وجورجيا، وهما أرض سهلة بين سلسلتين عظيمتين من الجبال الشاهقة (بين السَّدَّين): سلسلة جبال القوقاز الكبرى شمالًا، وسلسلة جبال القوقاز الصغرى جنوبًا.

وفي شمال أذربيجان وجورجيا تقع أرض الشركس، وهم شعب عريق كريم ذكي في هذه المنطقة، ويغلب على الظن أنهم هم من اخترع العجلة قبل 5 آلاف سنة، ولكن منطقتهم كانت وعرة التضاريس، ولهذا فقد استقلت القرى عن بعضها البعض رغم قربهم الجغرافي، ومع انعزالهم اختلفت لغاتهم،، وضمن شهادة بيليني (المؤرخ الروماني) وابن الفقيه (المؤرخ الفارسي) والمسعودي (المؤرخ العربي) فإن هذه المنطقة على صغرها كانت تحوي ما يزيد عن 70 لغة مختلفة (وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا).

وأما التحليلات المتعلقة بأهل الكهف، فإن أهل الكهف هم من مدينة الرقيم في جنوب الأردن، وهي عاصمة مملكة النبط، وقد سماها الرومان لاحقًا بالبتراء،، وعلى غلبة الاحتمالات فإن الدير (وهو أضخم بناء أقامه النبط في البتراء) هو الذي بناه الناس لأهل الكهف (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا)، وهو بناء على قمة جبل على مسافة 45 دقيقة مَشْيًا من مركز البتراء، وهذا البناء على ضخامته إلا أنه حتى اللحظة لغز للأثريين: فلا يُعرف من بناه، ولماذا بُني، ومتى تم بناؤه،، وهناك صفة غريبة فيه فهو على ضخامته لا يحمل أي نقش أو تمثال.

الفصل الأول – ذو القرنين

قال تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (89) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (90) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (الكهف – 100).

وذو القرنين كان رجلًا رحالة جاب الأرض، وفي ترحاله مَرَّ على ثلاث نقاط تم ذكرها في الآية السابقة، وهي بالترتيب التالي: مغرب الشمس، ومشرق الشمس، وما بين السدين.

وسنقوم هنا بتحديد هذه النقاط، ثم سنبني قصة ذي القرنين عليها، ولكن علينا أولًا أن نحدد المكان والموقع لمشرق الشمس ومغربها.

1.1- مشرق الشمس ومغربها

كل نقطة في الأرض هي مشرق للشمس ومغرب للشمس، وهنا نتنبه إلى تعارض ظاهري، والتعارضات الظاهرية تكون بين أمرين: ما يُمكن فهمه من الواقع (وهو هنا أن كل موقع في الأرض هو مشرق ومغرب للشمس)، وما نفهمه من النصوص القرآنية (وهو وجود موقع واحد مُحدد لمشرق الشمس ومغربها)،، وفي كثير من الأحيان فإن الإدراك يأتي من حل هذه التعارضات.

والطريقة التالية هي التي استخدمها المؤلف في حل التعارض السابق، ومن الانتباه لامتداداتها سنضع تعريفًا عامًّا لمصطلحي مشرق الشمس ومغرب الشمس.

وقد كانت نقطة الانتباه الرئيسية أن مكة (وهو المكان التي نزلت فيه الآية) لها مشرق واحد ومغرب واحد كل يوم:

فالشمس لا تدور حول الأرض، وإنما الأرض هي التي تدور حول الشمس، ولكن ظاهرة شروق الشمس هي ظاهرة واقعية، وهي تتعلق بظهور الشمس على منطقة من الأرض، ومع علمنا (الآن) أن الشمس نفسها لا تشرق ولا تغرب، إلّا أن عبارة "شروق الشمس" ليست خاطئة ولا مجازية، وإنما هو وصف يُعَبِّرُ عن ظاهرة نراها.

ومثال ذلك قولنا: مات الرجل، فهذه العبارة فيها فعل ماضٍ (مات) وفاعل (الرجل)، ولكن في الحقيقة فإن الرجل ليس هو الذي فعل الفعل، ومع ذلك نحن نعتبر أن هذه العبارة صحيحة لأننا نستخدمها لوصف واقع محدد نعلمه تمامًا.

وكذلك في موضوع شروق الشمس وغروب الشمس، فنحن (الآن) نعلم تمامًا أن الشمس لا تتحرك من مكانها (بالنسبة إلى الأرض)، ولكن البشر ما زالوا يقولون: أشرقت الشمس وغربت الشمس.

لماذا؟

لأنه أسهل لنا بكثير أن نقول: "أشرقت الشمس" من أن نقول: "إن منطقتنا قد دارت نحو الشمس".

والمكان الذي نرى فيه الشمس في أول النهار نُسَمِّيه مشرق الشمس بالنسبة لموقعنا (أو مطلع الشمس، وسنشرح الفرق بين كلمتي "مشرق" و"مطلع" لاحقًا)، والمكان التي نرى فيه الشمس في آخر النهار نسميه مغرب الشمس بالنسبة لموقعنا.

وهنا كان الانتباه ... مكة لها مكان تشرق منه الشمس، ومكان آخر تغرب فيه الشمس.

وانتبه أننا في كل يوم نرى شروق الشمس وغروبها من زاوية مختلفة (أي من مكان مختلف):

فمحور الأرض يميل بـ 23.4 درجة عن العامود لمستوى مدار الأرض حول الشمس، وهذا يؤدي إلى ظهور الفصول الأربعة في الأرض: ففي أول الربيع (20 مارس) تكون الشمس عمودية على خط الاستواء، وفي أول الصيف (21 يونيو) تكون الشمس عمودية على مدار السرطان (وهو على خط عرض 23.4 درجة شمالًا)، وفي أول الخريف (23 سبتمبر) ترجع الشمس عمودية على خط الاستواء، وفي أول الشتاء (21 ديسمبر) تكون الشمس عمودية على مدار الجدي (هو على خط عرض 23.4 درجة جنوبًا).

أي أن الشمس تتحرك (الحركة الظاهرية لها) كل يوم حوالي 0.256 درجة (شمالًا أو جنوبًا) عن اليوم الذي يسبقه.

وقد ذكرنا سابقًا أن كل نقطة في الأرض هي مشرق للشمس ومغرب للشمس، ولكن يوجد لمَكَّة في كل يوم مشرق واحد للشمس ومغرب واحد، وبالتالي فالهدف هو معرفة مكان مشرق الشمس ومغربها بالنسبة لمكة.

وهنا يأتي السؤال ... كيف يمكننا تحديد مغرب الشمس ومشرقها بالنسبة لمكة؟

لنفترض أن الشمس هي كرة بحجمها الذي نراه عند غروبها، وأن هذه الكرة تدحرجت باتجاه الغرب، فأين تكون هذه الكرة عندما تغيب عن الأفق؟؟

وبطريقة أخرى: لنفترض أننا نتحرك نحو الغرب مع الشمس (أي بالسرعة الظاهرة للشمس)، وبالتالي فإن الشمس بالنسبة لنا لا يتغير موقعها، وبدأنا حركتنا بحيث تكون الشمس فوقنا تمامًا، فأين نكون عندما تغرب الشمس عن مكة؟

بمعنى آخر فإن الجواب هو: أين هو المكان الذي يكون في وقت الظهر (الزوال) عندما تغيب الشمس عن مكة؟

الآن ... في يومي 20 مارس و 23 سبتمبر تكون الشمس عمودية على خط الإستواء ويكون طول النهار مساويًا لطول الليل، أي أن الوقت بين شروق الشمس وغروبها يكون حوالي 12 ساعة، والوقت بين الظهر والغروب يكون حوالي 6 ساعات.

وعندما يتغير موقع شروق الشمس وغروبها يتغير طول النهار، وفي مكة يتراوح طول النهار ما بين 10:30 ساعة في الشتاء، إلى 13:30 ساعة في الصيف، وهذا معناه أن الوقت بين الظهر والمغرب يتراوح ما بين 5:15 ساعة شتاءً إلى 6:45 ساعة صيفًا.

وبالتالي فإن مغرب الشمس بالنسبة لمكة هو على بعد 5:15 إلى 6:45 ساعة شمسية، والساعة الشمسية هي حركة الشمس الظاهرة خلال ساعة واحدة، وتساوي 15 درجة من خط الطول.

أي أن مغرب الشمس يقع على بعد 78.75 إلى 101.25 درجة غرب مكة، ويقع بين مدار السرطان (خط عرض 23.4 درجة شمالًا) إلى مدار الجدي (خط عرض 23.4 درجة جنوبًا).

وهذه المنطقة تقع في المحيط الأطلنطي ما بين 38.9 و 61.3 درجة غرب جرينتش، وعلى مسافة 2000 إلى 5000 كم من سواحل أفريقيا الغربية، وأقرب يابسة لها هي الصحراء الغربية وموريتانيا.

وهنا حددنا منطقة مغرب الشمس بالنسبة لمكة، ويبقى أن نبحث عن أي ينبوع ساخن في تلك المنطقة، والطريقة التي استخدمها المؤلف هو البحث في الجوجل (Google) عن أي ينبوع ساخن على الساحل في شمال غرب أفريقيا،، وقد وجد المؤلف مجموعة يوميات لبعض السياح يذكرون فيها وجود ماء حارة قرب مدينة الداخلة في الصحراء الغربية (وتستطيع أن تجد هذه اليوميات إذا كتبت في الجوجل: hot spring in Western Sahara)، وهذا الينبوع موجود في 23.89975N 15.7114W على بعد حوالي 8 كم من المحيط الأطلنطي، وإذا نظر القارئ في Google Earth فسيجد أن أحد السياح قد التقط صورة للينبوع ووضعها هناك وسماها Hot Spring Near Dakhla.

الآن ... هذه العين الحارة تقع على مسافة 52 كم شمالًا من مدار السرطان (ومدار السرطان هو آخر مدار لغروب الشمس)، ولكن انتبه أن ميل محور الأرض يتأرجح ما بين 24.5 إلى 22.1 درجة كل 41 ألف سنة (Obliquity Oscillations)، وهو الآن بميل 23.4 ويتناقص بحوالي 0.000117 درجة (معدل تقريبي) كل سنة، أي أن مدار السرطان يقترب من خط الإستواء بعدة أمتار كل سنة. وبعد الحسابات فإن مدار السرطان قبل 1442 سنة (وقت نزول آيات ذي القرنين على التقريب) كان في 23.6182 درجة شمالًا، أي على مسافة 20

كم شمالًا من موقعه الحالي،، أي أن العين الحارة كانت تقع على مسافة 32 كم شمالًا من مدار السرطان وقت نزول هذه الآيات.

وانتبه هنا ... مغرب الشمس لا يتعلق بخط أو نقطة، وإنما يتعلق بالمنطقة التي تغرب فيها الشمس بالنسبة لمكة، وموقع العين الحارة يقع في آخر اليابسة غربًا في العالم المعروف قديمًا وضمن منطقة مدار السرطان، وأفضل قرينة على ذلك أن المسافر إذا أراد أن يأخذ الرخصة في الإفطار فإن وجهة سفره (حسب تقدير كثير من العلماء) يجب أن لا تقل عن 80 كم، أي أن الرحلة الأقل من 80 كم لا تُعتبر سفرًا وإنما ذهابًا لمنطقة داخلية، والعين الحارة تقع على مسافة 32 كم من مدار السرطان (وقت نزول الآيات)، أي أنها تقع داخل منطقتها.

وهذا يقدم تفسيرًا آخرَ لسبب تَأَّخر جواب القرآن 15 يومًا، إذ عندما تَحدَّت قريش الرسول عليه السلام في موضوع ذي القرنين فقال لهم الرسول عليه السلام إنه سيأتيهم بالجواب غدًا، ولكن لم ينزل عليه القرآن إلا بعد 15 يومًا، وكان التفسير لهذا الأمر هو تنبيهًا للرسول عليه السلام أن لا يَعِد شيئًا إلا أن يقول "إن شاء الله"، ولكن هذا كان تخمينًا من المفسرين؛ حيث لا يوجد نص يبين أن سبب التأخير كان ذلك. ومن الممكن الآن وضع تخمين آخر: وهو أنه تم الانتظار حتى تغرب الشمس لأقرب مسافة للعين الحارة وعندها نزل القرآن وأخبر عنها. وهذا يتضمن غلبة التخمين أن آيات ذي القرنين قد نزلت في أول الصيف عندما كانت الشمس عامودية على مدار السرطان.

وهنا نستطيع أن نضع تعريفًا عامًّا لعبارة "مغرب الشمس" في الآية وهو: آخر يابسة في اتجاه الغرب في العالم المعروف قديمًا، على خط العرض الذي كانت الشمس عامودية عليه وقت نزول تلك الآية.

وبالنسبة للمكان الذي ليس له ساتر من الشمس فقد كان المؤلف في زيارة إلى سويسرا في شتاء 2003 ميلادية، وذهب إلى قمة جبل بيلاتس (Mount Pilatus)، وهو جبل بارتفاع 2128 مترًا عن سطح البحر، وقد استغرب المؤلف أن الجو في قمة الجبل كان دافئًا حتى اضطر إلى خلع معطفه؛ وذلك لأن هذا الارتفاع يكون فوق مستوى السحاب، وبالتالي لا يوجد للشمس ساتر يُخفف من حرارتها، وهنا انتبه المؤلف لتفسير ممكن للآية (لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا):

ما الذي يَسترنا عن الشمس؟

الذي يَسترنا عن الشمس هي الملابس، والقبعات، والمظلات، والبيوت، وظل الأشجار، وظل الجبال، والسحاب،، وأما الملابس والقبعات والمظلات والبيوت فهي من صنعنا، وأما الأشجار والجبال والسحاب فهي من صنع الله. وفي قمم الجبال الشاهقة فإنه لا يوجد شجر ولا يوجد جبال ولا يوجد سحاب.

الآن ... إذا أخذنا خط العرض الذي يقع على العين الحارة (خط العرض 23.89975N) ونظرنا إلى مساره شرقًا فإننا نصل في النهاية إلى جزيرة تايوان، ولا يوجد يابسة بعد تايوان على هذا الخط حتى نصل إلى القارة الأمريكية، أي أن آخر يابسة شرقًا في العالم القديم على ذلك الخط هو تايوان.

وفي مسار هذا الخط نصل إلى أحد قمم جبال تايوان (23.89975N 121.26317E)، وسنسمي هذه القمة بـ "القمة ألفا"، وارتفاع هذه القمة يبلغ 2972 مترًا، وهو ارتفاع أعلى من قمة جبل بيلاتس السابق ذكرها، وهذه القمة تُشرف على المحيط الهادي، ومن تلك القمة تنحدر الأرض سريعًا نحو المحيط الهادي، فالمسافة الأفقية بين هذه القمة والمحيط تبلغ حوالي 35 كم.

ولكن هذا ليس كل شيء:

تايوان هي جزيرة صغيرة (نِسبيًا)، وأكبر طول لها هو حوالي 400 كم، وأكبر عرض لها هو حوالي 150 كم، ومع هذا يوجد فيها جبال كثيرة جدًّا، وعدد الجبال التي يتجاوز ارتفاعها الـ 3000 متر هو 165 جبلًا، وعدد القمم التي تتجاوز الـ 3000 متر في تلك الجبال هو 275 قمة،، وهناك سلسلة جبلية طويلة تمتد على طول تايوان وموازية للمحيط الهادي، والقمة ألفا تقع في هذه السلسلة. وقد كان مدار السرطان في عام 613 ميلادية (وقت نزول الآيات على التقريب) يقطع منتصف تايوان.

وليس من الضروري أن تكون قمة ألفا هي القمة التي زارها ذو القرنين، وإنما زار إحدى القمم في هذه المنطقة، ولكن المؤلف يميل إلى قمة ألفا للمصادفة التي فيها؛ إذ إن خط العرض الذي يقطع العين الحمئة فإنه كذلك يقطع قمة ألفا بالتَّمام.

ولكن توجد هنا مشكلة:

عند النظر في Google Earth لقمة ألفا فمن الواضح أنها ليست معمورة، ولا يوجد أي دليل أنها كانت معمورة في قديم الزمان، والآية تقول: "وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ"، فهل يوجد هنا تعارض؟

لا يوجد تعارض؛ إذ ليس من الضروري أن تكون هناك قرية قديمة على تلك القمة؛ فما لاحظه المؤلف في جبل بيلاتس (في سويسرا) أن كثيرًا من الناس لا يذهبون إلى تلك القمة سياحة وإنما يذهبون تَشَمُّسًا، فقد كانت القمة مفرودة بكثير من أرائك التشمس.

وربما هذا ما شاهده ذو القرنين: فقد صعد إلى تلك القمة (أو قمة غيرها في المنطقة) فوجد هناك مجموعة من الناس (قومًا) ذهبوا إلى هذه القمة استجمامًا وتَشَمُّسًا. وانتبه أن هذه القمة تكون دافئة في نهار الشتاء بسبب عدم وجود سحاب يستر الشمس، وتكون لطيفة أيام الصيف بسبب ارتفاعها عن سطح البحر.

وهنا نستطيع أن نضع تعريفًا عامًّا لعبارة "مطلع الشمس" في الآية وهو: آخر يابسة في اتجاه الشرق في العالم المعروف قديمًا، على خط العرض الذي كانت الشمس عامودية عليه وقت نزول تلك الآية.

الآن ..... ربما يسمع القارئ ما سبق ويقول: تايوان!!! وكأنه يستبعد المكان، ومن المفيد هنا التساؤل عن الفترة الزمنية التي يستغرقها السفر قديمًا من القدس (مثلًا) إلى تايوان:

التجارة بين الصين والشرق الأوسط موغلة في القدم، فقد كانت السفن الصينية تُلقي حمولتها في شرق وجنوب الجزيرة العربية، فينقلها العرب عن طريق الجِمال إلى أرض كنعان، فينقلها الكنعانيون بحرًا إلى سواحل الأبيض المتوسط، وكان هذا قبل حوالي أربع آلاف سنة.

وقد كان هناك طريقان مشهوران للتجارة الصينية منذ العهد الروماني: طريق الحرير، وهو طريق بري يبدأ من الصين فصحراء آسيا الوسطى فإيران فساحل البحر المتوسط،، وطريق التوابل، وهو طريق بحري يبدأ من الصين فالمحيط الهندي فبحر العرب، ثم إمَّا إلى البحر الأحمر فمصر، أو الخليج العربي فنهر الفرات فحلب فساحل البحر الأبيض المتوسط.

وهناك طريق ثالث إلى الصين لكنه لم يكن طريقًا تجاريًّا وإنما طريق ترحال، وهو طريق بري يربط الساحل الصيني إلى الساحل الهندي فإيران فسواحل البحر الأبيض المتوسط.

والمسافة من فلسطين إلى تايوان عبر طريق الحرير تبلغ حوالي 9000 كم، والطريق البحري من شط الفرات إلى تايوان يبلغ حوالي 11 ألف كم، وأما الطريق الثالث (سواحل الهند) فيبلغ حوالي 15 ألف كم.

وبالطبع فإن الرحلة البحرية تكون أسرع بكثير من الرحلة البرية، ولكن لنفترض أن رحلة ذي القرنين إلى تايوان كانت برية، وأن رحلته (ضمن غلبة الظن كما سيتم شرحها لاحقًا) كانت من الشرق الأوسط إلى سواحل الهند ومنها إلى الصين فتايوان، ثم رجوعًا إلى الشرق الأوسط من خلال طريق الحرير،، وعندها فإن مسافة الطريق تكون حوالي 24 ألف كم ذهابًا وعودة.

والمسافة التي تقطعها القافلة قديمًا كانت حوالي 30 كم في اليوم (على أساس الرحلة تكون حوالي ثماني ساعات في النهار)، وبالطبع فإن المسافة التي يقطعها المسافر وحده أو مع مجموعة صغيرة تكون أكبر من ذلك، ولكننا هنا سنأخذ سرعة القافلة مرجعًا في حساباتنا.

واعتمادًا على ذلك فإن الرحلة إلى تايوان من خلال سواحل الهند تستغرق حوالي سنة وخمسة أشهر، في حين أنها تستغرق من خلال طريق الحرير حوالي تسعة أشهر، أي أن الرحلة إلى الصين ذهابًا وعودة تستغرق حوالي السنتين.

وحيث إن ذا القرنين كان في ترحال ولم يكن في سفر مؤقت (أي أنه كان رحَّالة)، فهذا يقتضي أن يتوقف في أكثر من مكان، وأن يشتغل كي يترزق ويجني مالًا يُسانده في رحلته (كما حدث مع ابن بطوطة في رحلاته).

وما سبق له قرينة؛ فإن الآية تقول: " فَأَتْبَعَ سَبَبًا"، وهذه الآية لها قراءتان: "فَاتَّبَعَ سببا" (بِوَصل الألف وتشديد التاء)، والقراءة الثانية هي: "فَأَتْبَعَ سَبَبًا" (بِفَتح الألف وتسكين التاء)، وكلاهما يمكن تفسيره أنه اتبع الأسباب (أي أخذ بالأسباب) في سفره:

وإذا افترضنا شخصين أحدهما غني جدًّا والآخر ليس كذلك، ولنفترض أن كِليهما أراد السفر، وعندها فإن كِليهما بحاجة أن يأخذ بالأسباب كي يَتِمَّ سفره، ولكن كافة الأسباب متوفرة للشخص الأول، وأما الشخص الثاني فإن عليه جُهدًا أعلى في تحقيق وأخذ هذه الأسباب.

وهنا غلبة ظن المؤلف: أن ذا القرنين كان يُسافر ثم يستقر قليلًا، ويعمل ويكسب مالًا، ثم يستمر في رحلته، وهكذا،، وهذا كذلك ما حدث مع ابن بطوطة في رحلته.

ولنفترض هنا (وهو افتراض معقول) أن التوقف والاشتغال قد أخذ أربعة أضعاف الرحلة نفسها، فهذا معناه أن الرحلة إلى تايوان والرجوع منها قد استغرق حوالي عشر سنين.

ولهذا فإننا نستطيع وضع احتمالية جيدة أن رحلة ذي القرنين إلى تايوان والرجوع منها قد استغرق 5 إلى 15 سنة، وللمقارنة فإن ابن بطوطة كانت له رحلات متعددة، ولكن رحلته من القسطنطينية (عام 1332 ميلادية) ثم ذَهابه إلى إيران والهند والصين (على الساحل المقابل لتايوان)، ثم رجوعه للهند ووصوله إلى دمشق عام 1348 ميلادية، فإن هذه الرحلة قد استغرقت 16 سنة.

1.2- أرض ما بين السَّدَّين

وبعد خروج ذي القرنين من تايوان فإن غلبة التخمين أنه رجع إلى الشرق الأوسط من خلال طريق الحرير، وفي طريقه عرج على أذربيجان وجورجيا وهي أرض "ما بين السَّدَّين":

ومنطقة أذربيجان وجورجيا تتميز بتضاريس فريدة: فهي سَهلٌ يُحيطها من الشمال سلسلة جبال القوقاز الكبرى، ويُحيطها من الجنوب سلسلة جبال القوقاز الصغرى:

وتمتد جبال القوقاز الكبرى من سواحل البحر الأسود وحتى سواحل بحر قزوين وطولها حوالي 1,200 كم، وأعلى قمة فيها يبلغ ارتفاعها حوالي 5,600 متر، وتمتد جبال القوقاز الصغري مسافة طولها حوالي 600 كم، وأعلى قمة فيها يبلغ ارتفاعها حوالي 4,000 متر،، وتمتد سلسلة جبال القوقاز الكبرى بالتوازي مع الصغرى، ومعدل المسافة بينهما هو 100 كم.

شكل 1.1 - المرجع: http://www.freeworldmaps.net/asia/caucasus/map.html

ويقع على شمال أذربيجان وجورجيا (والشَّمال هو الاتجاه المقصود في الآية "من دون السدين" وهذا سنشرحه لاحقًا) أرض الشركس، والشركس هم شعب كريم ذكي موغل في القدم في هذه المنطقة، وعلى غلبة الظن فَهُم من اخترع العجلة (Wheel) قبل 5 آلاف سنة، وهم أول من روَّض الخيول (أو على الأقل ساهموا في ذلك بشكل كبير)،، ولكن أرض الشركس كانت شديدة الوعورة، وعلى مدى آلاف السنين فقد استقلت القرى عن بعضها البعض (مع أن أرض الشركس ليست مترامية الأطراف وإنما صغيرة نسبيًا)، وهذا أدى إلى ظاهرة عجيبة: فهذه المنطقة الصغيرة كانت تحوي لغات عديدة جدًّا، إذ (عمليًا) كان لكل قرية لغتها الخاصة.

وقد ذكر بليني الأكبر (Pliny the Elder، مؤرخ روماني، القرن الأول الميلادي) هذه المنطقة في كتابه "التاريخ الطبيعي"، وقال إنه يوجد فيها 300 أُمَّة، وأن الحكومة الرومانية كانت تُوظف 130 مترجمًا كي يتفاهموا مع أهل هذه المنطقة من أجل ضمان المواصلات (المرجع: Pliny الكتاب السادس، الفصل الخامس).

وقد ذكرها كذلك ابن الفقيه (مؤرخ فارسي، القرن العاشر الميلادي) في كتابه "تاريخ البلدان":

"وجبل القبق [القوقاز] فيه اثنان وسبعون لسانًا، كلّ إنسان لا يعرف لغة صاحبه إلّا بترجمان، وطوله خمس مائة فرسخ، وهو متّصل ببلاد الروم إلى حدّ الخزر واللان، ويتّصل ببلاد الصقالبة، وفيه أيضا جنس من الصقالبة والباقون أرمن" (المرجع: ابن الفقيه).

وقد ذكرها كذلك المسعودي (مؤرخ عربي، القرن العاشر ميلادي) في كتابه "مروج الذهب":

"أما جبل القبخ [القوقاز] فهو جبل عظيم، وصقعه صقع جليل، قد اشتمل على كثير من الممالك والأمم، وفي هذا الجبل اثنتان وسبعون أمة، كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها" (المرجع: المسعودي).

وما سبق يُقدم تفسيرًا جيدًا للآية القرآنية:" حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا" (الكهف – 93):

أحد أساليب تفسير القرآن هو مقارنة الآيات ببعضها والانتباه للتشابه والاختلاف فيما بينها، وهناك آية مناسبة لعمل هذه المقارنة: "أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا" (النساء – 78).

والنقطة هنا هو مقارنة الآية "لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا " مع الآية "لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا"، فكلاهما متشابهان في الشكل اللفظي باستثناء كلمة "حديث" وكلمة "قول". فما هو الفرق بين "حديث" و "قول"؟

وانتبه أن "الحديث" هنا بمعناها اللغوي (أي أحاديث الناس) وليس بمعناها الشرعي (أي أحاديث الرسول عليه السلام).

والحديث هو مجموعة من الكلمات تشترك جميعها في تحديد مقصد الحديث. والشخص كي يفهم الحديث فعليه أن يكون مدركًا لمعاني الكلمات فيها، ثم يُدرك تقاطع المعاني في هذه الكلمات؛ إذ ربما يكون لكل كلمة أكثر من معنى.

وإدراك (فقه) الحديث يتعلق بحركة دائرية متواصلة: فبعض الكلمات تُحدد السياق العام للحديث، وهذا السياق يقوم بتحديد المعاني المقصودة للكلمات، ومن تحديد المعاني يتوضح السياق أكثر، ومن تحديد السياق تتوضح المعاني أكثر، وهكذا، حتى نصل إلى إدراك مقصد الحديث.

والشخص الذي لا يكاد يفقه الأحاديث هو شخص لا يدرك معظم الأحاديث، مع أنه ربما يفهم معاني الكلمات فيها،، ولهذا فهو إما ضعيف العقل، أو مكابر لا يريد أن يفقه هذه الأحاديث،، وكلاهما (ضعف العقل والمكابرة) ضرب من الحماقة، وهذا هو المعنى المقصود (على غلبة الظن) للآية السابقة في سورة النساء.

الآن .... ما الاختلاف بين "قول" و"حديث"؟

كل حديث هو قول، ولكن ليس كل قول هو حديث،، فالاختلاف بينهم هو أن "القول" يتعلق بفهم معنى الكلمة نفسها. وعندما يكون هناك شخص لا يكاد يفهم القول فهو شخص لا يفهم معظم الكلمات، ولهذا فالمشكلة هنا هي مشكلة لغوية وليست عقلية، اي أن الشخص يسمع الكلمات ولكنه غير قادر على فهمها بسبب اختلاف اللغة.

الآن ... كثير من الأتراك لا يعرفون إلا اللغة التركية، ولنفترض أننا رحالة (أي هوايتنا هي الترحال وزيارة البلدان)، وأننا لا نفهم اللغة التركية، ولنفترض أننا ذهبنا في زيارة إلى أنقرة (العاصمة التركية) وجلسنا فيها عدة أسابيع. وفي خلال هذه المدة، وبقوة التواصل والاحتكاك، فإننا نبدأ بفهم اللغة التركية،، وهذه مهارة غريزية موجودة في معظم أهل الترحال.

ولنفترض أننا خرجنا بعد ذلك من أنقرة وذهبنا إلى اسطنبول، فإن اللغة التي تعلمناها في أنقرة ستفيدنا في اسطنبول، مع أن اسطنبول على بعد عدة مئات من الكيلومترات من أنقرة؛ فاللغة الدارجة في أنقرة هي نفسها في اسطنبول.

ما سبق هو أمر طبيعي، ولكن ..... إذا ذهبنا إلى منطقة صغيرة نسبيًّا، ونزلنا في إحدى القرى وتعلمنا لغتها، وواصلنا ترحالنا لنكتشف أن كل قرية لها لغة مختلفة تمامًا عن القرى المجاورة مع أن المسافة بينهم هي عدة كيلومترات، وأن معظم أهل القرى لا يعرفون لغات جيرانهم، فعندها نستطيع أن نقول إننا لا نستطيع التواصل مع أهل هذه المنطقة؛ لأننا لا نستطيع أن نتعلم لغة كل قرية في هذه المنطقة. وهذا يضع تفسيرًا جيدًّا للآية: "لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا".

وهذه المنطقة (بهذه المواصفات) كانت موجودة قديمًا (حسب المؤرخين السابق ذكرهم)، وهي أرض شمال القوقاز.

1.3- من دونهما

قال تعالى: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا"، فما معنى "من دونهما"؟ هل تعني شَمال السدين أم جنوب السدين؟

يقال إن "حتى حتحتت عقول النحاة"؛ حيث لـ "حتى" قواعد كثيرة مختلفة، ويُمكننا قول الشيء نفسه لكلمة "دون" حيث إن لها معاني كثيرة مختلفة: "فدون تكون بمعنى قَبْل وبمعنى أَمامَ وبمعنى وراء وبمعنى تحت وبمعنى فوق وبمعنى الساقط من الناس وغيرهم وبمعنى الشريف وبمعنى الأَمر وبمعنى الوعيد وبمعنى الإغراء" (المرجع لسان العرب).

ولكن دعونا نحلل المعنى الممكن لـ "دون" في الآية السابقة:

إذا قلنا لشخص: إن أرضك هي "دون" النهر، فربما نستطيع أن نستنتج أن الأرض هي قبل النهر، ولكن ما معنى قولنا لذلك الشخص إن أرضك هي "من دون" النهر؟

هناك احتمال كبير أن يكون المعنى أن الأرض تبدأ من قبل النهر: أي أن الأرض في العبارة الأولى هي قبل النهر ولكن دون تحديد المسافة، وأما في العبارة التالية فإن الأرض تقع مباشرة قبل النهر.

الآن ... كلمة قبل وبعد تتطلب جهة مرجعية خارجية (أي خارجة عن النهر)، والمرجعية هنا هي المُتَحَدِّث نفسه: أي أنه قبل النهر بالنسبة للمتحدث، ولو كان المتحدث في الجهة الأخرى من النهر لكان كلامه: أرضك من بعد النهر.

كذلك فإن "دون" تعني أمام، فإذا قلنا: "دونك الكتاب فَخُذه" فهذا معناه أن الكتاب أمامك، وعندما نقول: "السيارة دون البيت" فهذا معناه أن السيارة أمام البيت.

وأمام وخلف لبعض الأشياء (كالسيارة والطائرة إلخ) ليس لها مرجعية خارجية وإنما مرجعيتها هي الشيء نفسه: فأمام الطائرة هي جهة لا تتغير (بالنسبة للطائرة) أينما كانت وفي أي جهة كانت، وكذلك الحال للبيت والسيارة: فعندما نقول: حقيبتي أمام السيارة فإن "أمام السيارة" ليس لها علاقة بموقع المُتحدث.

ولكن .... الجبال والأنهار والصخور ليس لها أمام ولا خلف: فالصخرة (مثلًا) ليس لها أمام ولا خلف؛ حيث إنها متشابهة السطوح في جميع الجهات.

ولهذا السبب عندما نقول: أمام النهر فإن أمام النهر هو في اتجاه الأمام عندنا، وفي هذه الحالة فإن عبارة "من دون النهر" تعني من أمام النهر (أي من بعد النهر)، وهو معنى مختلف تمامًا عن المعنى الأول، ولهذا السبب قلنا إن كلمة "دون" لها معاني مختلفة قد لا نستطيع تحديدها إلا من السياق نفسه.

وكذلك فإن "دون" تعني أسفل، فالآية: "لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا" يُمكن تفسيرها أنه لم يكن هناك ساتر لهم أسفل الشمس.

الآن ... "قبل وبعد" مرجعيتها هي المتحدث، و"أمام وخلف" مرجعيتها لبعض الأشياء هي الشيء نفسه وفي البعض الآخر هي المُتحدث، وأما أعلى وأسفل فمرجعيتها ليست المتحدث ولا الشيء وإنما المكان نفسه، فَحَسَب المكان تكون مرجعية الاتجاه.

الآن ... إذا اعتبرنا أن "من دون النهر" تعني: "من أسفل النهر"، فكيف نحدد الأسفل والأعلى للنهر؟

الاتجاهات الجغرافية لشعوب الشرق الأوسط كانت مختلفة عما هي الحال الآن، فقد كان المصريون القدماء يُقسمون مصر إلى قسمين: مصر السفلية (وهي القسم الشمالي من مصر) ومصر العلوية (وهي القسم الجنوبي من مصر)، والظاهر أن السبب هو ارتفاع المكان (أي أن مصر الجنوبية كانت مرتفعة عن مصر الشمالية)، وكذلك بسبب حركة نهر النيل والذي يتحرك من الجنوب إلى الشمال (أي من الأعلى إلى الأسفل)، والظاهر أن الجغرافيين المسلمين قد أخذوا هذه النظرة؛ إذ إن الخرائط الجغرافية الإسلامية القديمة كانت تضع الجهة الجنوبية في أعلى الصفحة والجهة الشمالية في أسفل الصفحة (مع أن اليونانيين القدماء، الذين سبقوا المسلمين في هذا الفن، كانوا يضعون الجهة الشمالية في أعلى الصفحة).

وهنا نحن أمام الاحتمالات التالية:

- "من دون" تعني "قبل" بالنسبة لمكة (وهي مكان نزول الآية)، وبالتالي "من دون السدين" تعني جنوب السدين، أي جنوب سلسلتي الجبال (القوقاز الكبرى والصغري)، أي في شمال غرب الأراضي التركية.
- "من دون" تعني "أمام" بالنسبة لمكة، وبالتالي "من دون السدين" تعني شمال السدين، أي شمال سلسلتي الجبال، أي في أرض الشركس.
- "من دون" تعني "أسفل"، وبالتالي "من دون السدين" تعني شمال سلسلتي الجبال، حيث إن الأرض هناك منخفضة مقارنة بجنوب سلسلتي الجبال.

فأي الاحتمالات نأخذ؟

ضمن علم المؤلف فإن القرآن لم يستخدم عبارة "من دون" لتعني "قبل"، وإنما استخدمت مرارًا لتعني "من غير"، مثال ذلك: "وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ"، أي يعبدون من غير الله،، واستخدمت لتعني "أمام" في الآية:"فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا"، أي اتخذت من أمامهم حجابًا،، وعلى غلبة ظن المؤلف فإن دون استخدمت لتعني أسفل في الآية: "لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا".

ولهذا فإن غلبة ظن المؤلف أن "من دون" تعني هنا أمام أو أسفل، وعليه يكون معنى الآية: شمال سلسلتي الجبال.

1.4- أهل الردم

بعد رجوع ذي القرنين من الصين عبر طريق الحرير فإنه ذهب إلى أرض أذربيجان وجورجيا ثم ذهب إلى شمالها، وفي إحدى القرى هناك أخبروه أهلها أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض وسألوه أن يبني لهم سورًا (سدًّا) لاتقاء شرهم.

وكثير من المراجع تقول سد ذي القرنين، ولكن هذا (ضمن وجهة نظر المؤلف) غير دقيق؛ إذ إن ذا القرنين لم يبنِ سورًا ولم يبنِ سدًّا وإنما عمل ردمًا، فالأصح هو ردم ذي القرنين وليس سد ذي القرنين:

قال تعالى: "قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا" (الكهف – 95).

وعبارة "مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" لها معنيان:

الأول: وهو أن ذا القرنين رفض الأجر بسبب أن ما مكنه ربه هو خير من الأجر، ولكن المؤلف يستبعد هذا المعنى؛ حيث إن ذا القرنين كان رحالة وكان عليه أن يعمل كي يكسب رزقًا ومالًا يسانده في ترحاله. وكذلك فإنه من الممكن للشخص أن لا يأخذ أجرًا للعمل شُكرًا لله، أو بدلًا لدَيْن، أو هدية، أو صدقة، إلخ،، ولكن من المستبعد (ضمن وجهة نظر المؤلف) أن لا يأخذ الشخص أجرًا بسبب أن "الله مكنه بشيء أفضل".

وأحد أفضل القرائن على ما سبق هو أن موسى عليه السلام (وهو نبي رسول) قد انتقد صاحبه (والذي تم تسميته عُرفًا بالخضر) أنه لم يأخذ أجرًا على صيانة الحائط: "فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا" (الكهف - 77)، وقيام الخضر بصيانة الحائط بلا أجر لم يكن بسبب الصدقة أو الهدية أو الشكر لله، وإنما لأنه أمرٌ من الله: "وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي" (الكهف – 82).

وأما المعنى الثاني: فقد طلب أهل القرية من ذي القرنين أن يبني لهم سورًا، فقال لهم: دعكم من السور فإن عندي فكرة أفضل (أي أن ربي مكنني من فكرة هي أفضل من فكرتكم)، فلنقم بردم الطريق بينكم وبينهم. وهذا هو المعنى الذي يغلب على ظن المؤلف.

والذي تم بناؤه (كما قلنا سابقًا) هو ردم وليس سدًّا وليس سورًا.

ولكن ... لماذا نقول إن أصحاب ذي القرنين كانوا أهل قرية ولم نقل مدينة أو دولة؟

لأن ما فعله ذو القرنين كان ضمن القوانين الكونية ولم يكن إعجازًا؛ فمثلًا انشقاق البحر إلى قسمين ثم انهماره على رأس فرعون كان أمرًا خارجًا عن القوانين الكونية، وأما عمل الردم وعدم قدرة يأجوج ومأجوج على تجاوزه فلا يوجد أي دليل أنه معجزة إلهية خارجة عن القوانين الكونية.

ولهذا السبب فإن عجز يأجوج ومأجوج عن تجاوز الردم لم يكن بسبب قدرة إعجازية خارقة لذي القرنين، ولم يكن بسبب ضعف مفاجئ أَلَمَّ بيأجوج ومأجوج، وإنما بسبب أن مهارة وقدرة وإمكانيات يأجوج ومأجوج الطبيعية (ذلك الوقت) لم تكن كافية لتجاوز الردم.

لنضرب المثل:

تجد في الجزيرة العربية الكثير من القلاع (جمع قلعة) المبنية من طين، وهذه القلاع لم تكن لديها القدرة على الصمود أمام جيش محترف يملك المنجانيقات، بل لم تكن هذه القلاع قادرة على الصمود أمام قوات النخبة. ولكن هذه القلاع لم تُبنَ كي تصمد أمام قوات النخبة، وإنما بنيت كي تصمد أمام قُطَّاع الطرق وغارات القبائل الرُّحَّل؛ فبالنسبة لقطاع الطرق وبالنسبة لأفراد القبائل الرُّحَّل فإن مهاراتهم وقدراتهم وإمكانياتهم (الطبيعية) ليست بقدرة تجاوز هذه القلاع المبنية من طين.

وكذلك الحال ليأجوج ومأجوج ذلك الوقت: فقدرتهم ومهارتهم وإمكانياتهم (الطبيعية) لم تكن بقدرة تجاوز ردم ذي القرنين، وهذا معناه أنهم (أو تلك المجموعة منهم) لم يكونوا (ذلك الوقت) جيشًا وإنما كانوا قطاع طرق (وهذا الموضوع سنعود له بتفصيل في الفصل الثالث).

الآن ... لو أن أصحاب ذي القرنين كانوا أهل عاصمة كبيرة فإن من متطلبات أي عاصمة هو وجود المهندسين الإنشائيين. وعمل سورٍ ليس بالأمر الصعب لمهندسي الإنشاءات، ولهذا السبب فإن تخمين المؤلف أن أصحاب ذي القرنين كانوا أهل قرية؛ إذ لا يوجد عندهم مهندسو الإنشاءات (وبالتالي فحجم قريتهم أصغر من عاصمة)، وفي المقابل كان يوجد عندهم الحدادون (إذ ساعدوا ذا القرنين على تسييل النحاس) وبالتالي هم ليسوا أهل قرية صغيرة وإنما قرية ذات حجم متوسط.

رجوعًا لموضوع الردم:

هناك فرق واضح بين البناء والردم: فإذا افترضنا أن عرض الطريق بين الجبلين الذي ردمه ذو القرنين يبلغ 1 كيلومترًا، فإن قطع الطريق يحتاج إلى بناء وليس ردمًا، فوصف الردم يتطلب أن تكون المسافة بين الجبلين قصيرة، فمثلًا الصورة التالية (شكل 1.2) هي لطريق بين جبلين في عُمان، وهي تفسر بشكل جيد المقصود بـ ردم، وإذا رمينا الحجارة بين الجبلين فإن عملنا هذا يكون ردمًا.

شكل 1.2 - المرجع: ضوء عمان، شبكة أبو نواف

وانتبه أن البناء يتطلب رص الحجارة معا لتشكيل حائط، وأما الردم فهو رمي الحجارة فوق بعضها البعض، وبالتالي فإن الردم لا يتطلب تشكيل حائط أملس وإنما هو حاجز غير منتظم.

والدليل على ما سبق هو الآية: "فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا"، وكلمة ما استطاعوا تتضمن المحاولة، أي أن يأجوج ومأجوج حاولوا أن يتجاوزوا الردم بصعوده ولم ينجحوا، وحاولوا كذلك أن ينقبوا الردم ولم ينجحوا.

وإذا كان أمامك حائط شاهق الارتفاع فأنت لن تفكر في محاولة ارتقائه، وإنما تحتفظ بطاقتك لعلمك أن هذا الأمر خارج عن قدرتك، وهنا لا نقول إنك حاولت ولم تستطع، وإنما نقول إنك لم تحاول أصلًا. ولكن في حالة يأجوج ومأجوج فهم حاولوا ولم يستطيعوا، فماذا نستطيع أن نستنتج من ذلك؟

نستطيع أن نستنتج أن الردم لم يكن شاهق الارتفاع، وأنه كذلك لم يكن سميكًا، بل ربما كان فيه بعض الفجوات والتي استطاع يأجوج ومأجوج النظر من خلالها إلى الجهة الأخرى، وهذا ما أغراهم على المحاولة (محاولة الارتقاء ومحاولة النقب).

الآن .... القرآن هو كتاب جامع لمجالات مختلفة: ففيه الأحكام الشرعية وفيه القصص وفيه التحذير وفيه الترغيب،، ولهذا السبب فإن النظرة الى آيات الأحكام هي أخذها بصورة قانونية (أي أخذها بحرفية النص ما لم يكن هناك قرينة)، وأما في القصص والروايات والتحذير والترغيب فإن النظرة هي أخذها بالمجاز والتشبيه ضمن حدود اللغة وطبيعة العرب.

مثال ذلك هو قول الله تعالى: "وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (نوح – 7)، فهل نستطيع أنَّ نفسر هذه الآية أنَّ البشر قديمًا كانت أصابعهم دقيقة وآذانهم عميقة إلى الدرجة أنهم كانوا يستطيعون أن يضعوا أصابعهم في آذانهم؟

بالطبع لا، هذه الآية فيها مجاز يقوم بِبيان شدة ضغط الأصابع على الآذان.

وكذلك فإنَّ العرب كانت تقوم بتسمية الأشياء وتعريفها بأهم جزء فيها أو بالغالب الظاهر فيها، مثال ذلك هو قول الله عز وجل:

"الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (التوبة – 99).

فالآية الأولى لا تعني أنَّ كلَّ واحد من الأعراب هو أشد كفرًا ونفاقًا، وإنَّما هو تعبير يصف فيه الجزء بالكُل، وهذا الأسلوب في التعبير مُعتمد عند العرب.

وكذلك قال الرسول عليه السلام لمشركي قريش: "يا معشر قريش لا خير في أحد يُعبد من دون الله، قالوا: أليس تزعم أنَّ عيسى كان عبدًا نبيًّا وعبدًا صالحًا، فإن كان كما تزعم فقد كان يُعبد من دون الله" (تفسير الطبري)، فأنزل الله في القرآن: "وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" (58 – الزخرف).

فمناقشة الرسول عليه السلام للمشركين كانت واضحة، وكان المشركون يعلمون تمامًا مقصد الرسول، وكان تعبير الرسول صحيحًا ضمن الطريقة العربية في وصف الأمور، ولهذا السبب فما فعله المشركون هو مجادلة وليس نقاشًا، وهذا ما أوضحته الآية: "ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا".

وهنا نقطة الانتباه .... القرآن يتضمن مجالات كثيرة: ففيها الأحكام الشرعية، وفيها القصص، وفيها الوعظ والتحذير... إلخ،، وكل مجال له المنطق اللغوي في فهمه: فمجال الأحكام الشرعية يتبع المنطق القانوني، في حين أن الأخبار والقصص تتبع الطريقة العربية في القصص بما فيها من مجاز وتشبيه وبلاغة.

واعتمادًا على ما سبق فإننا سنسأل عن هذه الآية: "فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا": هل هذه الآية تعني (ضمن طريقة العرب المتبعة في القَصَصِ ووصف الأمور) أنه لم يستطع أي شخص من يأجوج ومأجوج أن يصعد فوق الردم؟

وضمن وجهة نظر المؤلف فإن هذه الآية لا تعني بالضرورة أنه لا أحد من يأجوج ومأجوج استطاع أن يصعد الردم، وإنما تعني أن المجموع العام ليأجوج ومأجوج لم يستطع أن يصعد فوق الردم، وهذا شبيه بوصف القرآن للأعراب: إذ عَبَّرت عن الجزء الغالب بالكُل.

ومن الطبيعي أن يكون هناك رجال ضمن عصابة قطاع الطرق من هو قادر على صعود المرتفعات، ولكن قطاع الطرق ليسوا جيشًا محترفًا مُدربًا، وبالتالي فليس لهم قدرة (كمجموعة) أن يصعدوا الردم، وأن يأخذوا معهم خيلهم وأسلحتهم أثناء ذلك، وبالتالي فإن استطاع واحد أو اثنان منهم صعود الردم فماذا سيفعلون؟

لا يستطيعون فعل شيء، فليس لهم القدرة وحدهم على الغارة.

وهنا نرجع إلى الملاحظة السابقة: الردم لم يكن شديد الارتفاع، ويمكن أن يكون فيه فجوات صغيرة، وهذه الفجوات ربما أغرت يأجوج ومأجوج على محاولة ارتقائه أو نقبه، ولكن إمكانياتهم على ذلك لم تكن كافية؛ فذو القرنين لم يقم فقط بإغلاق الطريق بالحجارة الصلبة (زبر الحديد)، وإنما أشعل الحجارة حتى احمرت ثم صب عليها نحاسًا مصهورًا (القطر)، فأصبحت الحجارة ثابتة لسببين: وزنها والصمغ الرابط بينها، فما كان ممكنًا ليأجوج ومأجوج (وهم قطاع طرق) أن ينقبوا الردم بالإمكانيات والمهارات المتوفرة لديهم.

الآن ... لماذا نقول إن يأجوج ومأجوج كانوا قطاع طرق؟

لأنه لا يوجد أي دليل غيبي أن الردم كان معجزة أو أنه يَتَّبع قوانين خارجة عن قوانين الكون، وبالتالي فإن الردم هو عمل بشري تنطبق عليه القوانين الإنشائية، وبشكل عام فإن الإنشاءات (أيًّا كانت) لا تستطيع أن تقف (وحدها) أمام جيش محترف.

وحيث إن يأجوج ومأجوج (ذلك الوقت) لم يكونوا جيشًا محترفًا، فيكون غلبة التخمين أنهم قبائل غازية أو قطاع طرق، أو كلاهما.

وسنعود لمناقشة موضوع يأجوج ومأجوج في الفصل الثالث حيث إن أصولهم وتواجدهم فيه احتمالات كثيرة وسنبحثها في نهاية هذا الكتاب.

الآن ..... الردم الذي بناه ذو القرنين كان لقطع طريق بين جبلين متقابلين، وغلبة ظن المؤلف أن هذا الردم بعد عدة عشرات من السنين لا يُمكن تمييزه بالعين المجردة عن باقي التضاريس؛ فخلال عدة عشرات قليلة من السنين فإن الغبار سيملأ الفجوات في الردم، وستنمو فوقه الأعشاب (حيث إن منطقة القوقاز هي منطقة ممطرة) وستنمو خلاله الأشجار، ولا يعود أحد قادرًا أن يُمَيِّز الردم عن باقي الجبل.

وأفضل مثال على ذلك هو مدينة صور في لبنان: فقد كانت وقت الكنعانيين جزيرة تقع على مسافة 800 متر من البر، وعندما حاصرها الإسكندر المقدوني فإنه ردم ممرًا رفيعًا بينها وبين البر وعبر إليها من خلاله واحتلها، وبعدها لم يعد مطلوبًا من صور أن تكون مدينة مُحَصَّنة فتُرِكَ الردم على حاله، ولكن مع ترسبات البحر اليومية فإن الردم امتد وامتد حتى أصبحت صور اليوم ملتصقة تمامًا بالبر، ولا يُمكننا الآن تمييز الردم الذي عمله الإسكندر المقدوني أول مرة.

وكذلك تخمين المؤلف لحال ردم ذي القرنين بعد عدة عشرات من السنين من عمله.

الآن ..... ذكرنا أن الردم كان لقطع طريق بين جبلين متقابلين، وذكرنا أنه ليس من الضروري أن يكون الردم شاهق الارتفاع، ولكن أحد معاني "الصدفين" في قوله تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ"، قد يوحي بأن الارتفاع شاهق، وهذا يتطلب المناقشة:

لـ "الصدفين" ثلاث قراءات: الصَّدَفَيْن، والصُّدُفَيْن ، والصُّدْفَيْن،، ومعانيها متشابهة. وفي لسان العرب:

"الصدفُ كل شيء مرتفع عظيم كالهدَف والحائط والجبل والصدَفُ والصدَفَةُ الجانِبُ والناحِيةُ والصَّدَفُ والصُّدُفُ مُنْقَطَعُ الجبل المرتفِع ابن سيده [؟] والصدَفُ جانب الجبل وقيل الصدَفُ ما بين الجبلين والصُّدُفُ لغة فيه عن كراع [؟] وقال ابن دريد الصُّدُفانِ بضم الدال ناحِيتا الشِّعْب أَو الوادي كالصَّدَّيْنِ ويقال لجانبي الجبل إذا تَحاذيا صُدُفانِ وصَدَفانِ لتَصادُفِهما أَي تَلاقِيهما وتَحاذي هذا الجانِبِ الجانِبَ الذي يُلاقيه وما بينهما فَجٌّ أَو شِعْب أَو وادٍ".

ومن الممكن أن نقول إن ذا القرنين ردم الطريق حتى ساوى بين جانبي الجبلين المتحاذيين (شكل 1.3)، أو أنه قام بردم الفراغ الكامل بين الجبلين حتى وصل إلى القمتين (شكل 1.4).

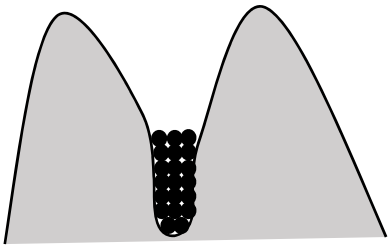

شكل 1.3

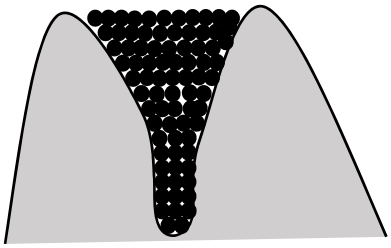

شكل 1.4

والخيار الثاني يتطلب البناء وخصوصًا عندما يبدأ جانبا الجبلين بالتباعد، وأما الخيار الأول فهو لا يتطلب سوى الردم.

وهنا نرجع إلى المناقشة السابقة: لو كان الردم شاهق الارتفاع لما حاول يأجوج ومأجوج ارتقاءه، ولكن المحاولة نفسها تضع غلبة الظن أن الردم ليس شاهق الارتفاع، وخصوصًا بعد مناقشة الاحتمالين في شكل 1.3 وشكل 1.4.

1.5- زمن ذي القرنين

لقد علم العرب قصة ذي القرنين أول مرة من خلال ذهاب وفد قريش إلى حبر يهودي في يثرب وسألوه عن رجل عندهم أعلن نبوته (الرسول عليه السلام)، فأخبرهم ذلك الحبر بقصتين (قصة ذي القرنين وأهل الكهف) إن صدق فيهما الرجل (الرسول عليه السلام) فهو نبي وإلا فلا.

وهنا السؤال ... كيف عرف هذا الحَبْرُ بأمر ذي القرنين؟

من المؤكد أنه عرفها من أستاذه، والذي عرفها من أستاذه حتى الاستاذ الأول الذي قابل ذا القرنين أول مرة، ومن المؤكد أن قصة ذي القرنين كانت تنتقل عبر الأجيال ضمن دائرة دراسية ضيقة جدًا.

لماذا؟

لأنه لو كانت القصة ضمن المعرفة العامة لما صَلُحت كقصة تحدٍّ للنبي، ولهذا السبب كانت قصة ذي القرنين تنتقل عبر الأجيال ضمن دائرة ضيقة. وكذلك فإن قصة ذي القرنين كانت مُهِمَّة إلى الدرجة الكافية أن تنتقل عبر الأجيال، ولكنها لم تكن مهمة إلى الدرجة الكافية أن يتم تسجيلها أو استخدامها في الوعظ؛ إذ لو تم تسجيلها أو استخدامها في الوعظ لما أصبحت صالحة كقصة تَحدِّ.

والقصص التي نعرفها إما نُقلت إلينا عن طريق المحادثة أو عن طريق القراءة. والقصص التي تُنقل عن طريق المحادثة سنسميها أخبار السَّنَد، مثال ذلك: أخبرني والدي عن صديقه (زيد) أن والده (جرير) قد قابل فلانًا، فالقصة جاءت من جرير إلى زيد إلى والدي ثم إلي،، وأما القصص التي تأتي بالقراءة سنسميها الأخبار المسجلة، وهي عندما يقوم أحد بتسجيل القصة على أوراق وتصل هذه الأوراق إلينا.

وعلى ذلك فإن غلبة الظن أن قصة ذي القرنين قد انتقلت من جيل إلى آخر عبر أخبار السند. وهنا السؤال: كم هو عدد الأجيال المتعاقبة والتي يمكن أن تنتقل خلالهم أخبار السند دون أن تتشوه هذه الأخبار؟

بمعنى إذا كان هناك قصة حدثت في قديم الزمان ولم يتم تسجيلها، وإنما انتقلت من جيل إلى جيل حتى وصلت إلينا بعد ألف سنة من حدوثها، فهل يمكن أن تكون هذه القصة صحيحة أم أننا نجزم أنها قد تشوهت عبر السنين؟

وهناك لعبة إدارية تسمى "الهمس الصيني" وفيه يتم صف الطلاب (عشرين أو أكثر) في طابور، وآخر شخص في الطابور يختار قصة ويُخبرها همسًا (دون أن يسمع أحد) للشخص الذي يليه، فيقوم ذلك الشخص ويذكرها همسًا للذي يليه، وهكذا حتى تصل القصة إلى أول شخص في الطابور، وعندها يقوم هذا الأول بذكر القصة التي سمعها علنًا،، وفي معظم الأحيان (إن لم تكن جميعها) فإن القصة التي تصل إلى أول الطابور ليس لها أي علاقة مع القصة الأصلية.

لماذا؟

لأن الإنسان مُعَرَّضٌ للخطأ والنسيان، وعندما يقوم بسماع قصة فإنه (في كثير من الأحيان) يقوم بنقلها كما فهمها وليس كما سمعها، وحتى وإنْ نقلها كما سمعها فربما ينسى شيئًا أو يُخطئ في شيء.

وبالتالي فإن القصة عندما تنتقل مُحادثةً عبر الأجيال ولعدد كبير من المرات دون أن يتم تمحيصها وتسجيلها فإنها في النهاية تتشوه؛ وذلك بسبب الحدود الطبيعية للإنسان من حيث الحفظ والنسيان.

وإذا كان الطابور قليل العدد (ثلاثة أو أربعة) فإن نسبة الخطأ في القصة الأولى والأخيرة تكون بسيطة (في معظم الأحيان)، ولكن إذا كان الطابور يصل إلى عشرين وأكثر فإن نسبة الخطأ تتراكم تصاعديًا إلى الدرجة التي تُشَوِّه مضمون القصة تمامًا.

وأما بالنسبة لأخبار التسجيل فإن نسبة الخطأ تكون قليلة حيث إن الشخص يقوم بنقل معلومة مكتوبة من سجل قديم إلى سجل جديد.

وهنا نرجع إلى السؤال ... كم هو عدد الأجيال المتعاقبة والتي يمكن أن تنتقل خلالهم أخبار السند دون أن تتشوه هذه الأخبار؟

وضمن وجهة نظر المؤلف (ومن خلال أمثلة مختلفة) فإن القصة يظهر عليها التشوه بعد نقلها لأكثر من عشرة أجيال، حيث إن تراكم نسبة الخطأ يكون عاليًا جدًّا بعد عشرة أجيال.

وكل خمسة أجيال تُمثل حوالي مئة سنة، ولهذا نستطيع القول إن القصة يمكنها أن تنتقل عبر الأجيال دون أن تشوه كثيرًا لمدة حوالي 200 سنة، وبعدها يزداد التشوه اضطرادًا.

وإذا اعتمدنا هذه الفترة الزمنية (200 سنة) كفترة محتملة لقصة ذي القرنين فإننا نستطيع أن نقول إن الأستاذ الأول قد قابل ذا القرنين في حوالي 413 ميلادية؛ حيث إن بعثة الرسول عليه السلام كانت في حوالي 610 ميلادية، وكان التحدي بعدها بسنوات قليلة (ولنقل ثلاث سنوات افتراضًا)، ونطرح من ذلك 200 سنة فيكون 413 ميلادية.

وتخمين المؤلف أن ذا القرنين كان في الفترة بين 330 ميلادية و380 ميلادية حيث إن هذه الفترة كانت فترة تسامح ديني كامل في معظم الأرض (عند الرومان والفرس وغيرهم)،

وبعد تلك الفترة حدث الاضطهاد الدموي غير المُقَنَّن (أي بأيدي العامة دون قانون) من المسيحيين تجاه الوثنيين، ومن بعدها بدأ الاضطهاد السياسي والاجتماعي (وأحيانا الدموي) بين الطوائف المسيحية أنفسهم.

ورحلة كرحلة ذي القرنين، وأفكار كأفكار ذي القرنين بحاجة إلى فترة هادئة. وهذه الفترة (بين 330 إلى 380 ميلادية) ليست بعيدة عن الـ 200 سنة التي قلنا أنها الحاجز بين قصة سليمة وقصة مُشوهة في النقل.

1.6- بلد ذي القرنين

من المؤكد أن شخصية ذي القرنين كانت متميزة؛ إذ تقول الآية: "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا"، والتمكين لا يعني بالضرورة المُلْك، فإن الله قد مَكَّنَ ليوسف في الأرض (قال تعالى: "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" يوسف – 56)، ولكن يوسف لم يكن هو الملك وإنما كانت له الحرية والأمان والنفوذ في مصر، وكذلك ذو القرنين فقد كانت له شخصية مُميزة مُؤثرة، وكانت كافية أن يذهب حيث يشاء في هذه الأرض.

وكذلك فإن ذا القرنين كان على نصيب عالٍ من علوم الدنيا؛ فقد قالت الآية: "وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا"، وإدراك أسباب الأشياء هو وصف واضح للمعرفة العلمية.

وكذلك فإن غلبة الظن أن ذا القرنين ليس من المشرق ولا من المغرب؛ إذ وصل ذو القرنين إلي هذين المكانين بعد أخذ أسباب الرحلة، وبالتالي فهو في منطقة وسط: أي الشرق الأوسط وما حولها.

ومع كل ذلك فإنه لم يقم أحد بتسجيل قصته! وهذا الأمر يضع استنتاجًا:

فلو كان ذو القرنين يونانيًا لذكره اليونان في كتاباتهم.
ولو كان رومانيًا لذكره الرومان.
ولو كان نصرانيًا لذكرته النصارى.
ولو كان يهوديًا لذكرته اليهود.
ولو كان عربيًا لذكره العرب.
ولو كان فارسيًا لذكره الفرس.

ولو كان هنديًّا لذكره الهنود.
ولو كان صينيًّا لذكره الصينيون.

فمن أي البلاد هو؟ أين هذه البلاد التي تقع في منتصف الأرض (أي بين الصين والمغرب العربي) والتي لا تنتمي للأمم التي ذكرناها أعلاه؟

وغلبة تخمين المؤلف أن ذا القرنين كان من الحبشة (أثيوبيا) حيث كان لهذه المنطقة حضارات متقدمة، ولا نعلم الآن عن هذه الحضارات ولا عن رموزها أي شيء.

وتخمين المؤلف أن ذا القرنين كان من يهود الحبشة أو على الأقل قريبًا منهم، وهذا هو السبب لمعرفته الكثير من أخبار الغيب (مثلًا في قوله كما جاء في الآية: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا").

ولكن ..... ذكرنا سابقًا أنه لو كان يهوديًّا لذكرته اليهود، وهنا نقول إنه من يهود الحبشة، فهل يوجد هنا تناقض؟

لا يوجد تناقض؛ فاليهود ذوي البشرة البيضاء لا يعترفون (وجدانيًّا) بيهود الحبشة (ذوي البشرة السوداء). وأمَّا قيام اليهود حديثًا بنقل يهود الفلاشا (يهود الحبشة) إلى فلسطين المحتلة فإن هذا هو أحد التناقضات اليهودية في دينهم والتي تحصل عندهم باستمرار منذ قديم الزمان: فقبل الإسلام كان في يثرب تحالفات مختلفة بين يهود وعرب، وعند حدوث اقتتال بين التحالفات العربية فإن اليهود يشتركون فيها ويقاتل بعضهم بعضًا، ولكن بعد المعركة فإن كل اليهود يقومون بافتداء الأسرى (أيًّا كانت تحالفاتهم)، وقد نزلت الآية الكريمة لتلفت النظر لهذا التصرف الغريب:

"ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" (البقرة – 85).

وكذلك في موضوع يهود الفلاشا فقد تم نقلهم التزامًا بما يظنه اليهود أنه حق، ولكن ضمن ملاحظات المؤلف فإن اليهود ذوي البشرة البيضاء لا يعترفون بيهود الفلاشا.

الآن ..... هل كان ذو القرنين نبيًّا؟

لا يوجد دليل في القرآن أن ذي القرنين كان نبيًا، وبالتالي هناك احتمال أنه نبي، واحتمال أنه ليس نبيًا،، ووجهة نظر المؤلف هو للاحتمال الثاني وذلك لأنه الفرضية الأساس، وأما الاحتمال الأول فهو إدعاء، والإدعاء لا يُقبل بلا دليل.

وهناك من يقول إن ذا القرنين هو نبي لأن الآية تقول: "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا"، وحجتهم هي المنطق التالي:

- قال الله شيئًا لذي القرنين.
- وعندما يقول الله شيئًا لشخص فلا بد أن يكون ذلك الشخص نبيًا.
- إذن ذو القرنين نبي.

ولكن السطر الثاني من تلك الحجة ليس له دليل.

وهنا نرجع لوجهة نظر المؤلف: النبوة بحاجة إلى دليل صريح لأنها أمر خاص بين الخالق وإنسان، وإذا لم يكن هناك دليل على نبوة الشخص فالأولى أن نُرجع الأمر إلى الوضع الطبيعي وهو أن البشر ليسو أنبياء إلّا من خَصَّهم الله بذلك.

الآن ..... تقول الآية: " إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا"، فهل هذا معناه أن ذا القرنين كان عالمًا بالطب والذرة والقوانين النسبية وعلم الجينات إلخ؟

غلبة الظن أن الأمر ليس كذلك وأن عبارة "كل شيء" هنا هي مجاز تعني الكثرة؛ فكما ذكرنا سابقًا فإن العرب لهم طريقتهم في وصف الأشياء وخصوصًا في سرد القصة، وقد ذكرنا كيف أن العرب قد تُسمي الكل بالجزء أو الجزء بالكل، أو يغلب اسم على اسم، إلخ.

وقد قال الله تعالى: "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ" (الأعراف – 145)، وقال تعالى"إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ" (النمل – 23).

و"كل شيء" هنا هو: وصف الجزء بالكل، وتعني مجازًا الكثرة. وهنا فإن ذا القرنين كان على درجة عالية من العلم والمهارة بالنسبة للوقت الذي كان فيه.

1.7- ذو القرنين أهو اسم أم لقب؟

وجد المؤلف أن اسم ذي القرنين كان موجودًا عند العرب قبل الإسلام: فقد كان هذا هو لقب المنذر بن امرئ القيس ثالث ملوك الحيرة (حوالي 564 ميلادية)، ولُقِّب بذي القرنين لضفيرتين من شعر كانتا له (المرجع فؤاد صالح).

وضمن فهم المؤلف فإن العرب لا تُترجم الأسماء وإنما تُعَربها: فيحيى عليه السلام اسمه في اللفظ العبري هو يوحنا ومعناها نعمة الله، ولكن القرآن عرب الاسم إلى يحيى، والتعريب هو لفظ الإسم باللسان العربي: فإمبراطور الروم وقت المسلمين كان اسمه أَريكْلوس، والتعريب لهذا الاسم هو هرقل.

وأما الألقاب فربما يتم ترجمتها: فنحن نقول: الإسكندر الكبير، والكبير هي لقب مترجم عن اللقب اليوناني "ميجاس"، وكذلك فإن أحد السلاطين العثمانيين كان اسمه بايزيد الصاعقة، وبايزيد هو تعريب للاسم التركي، وأما الصاعقة فهي ترجمة لـ "يلدريم".

ولهذا السبب فإن غلبة ظن المؤلف أن ذا القرنين هو ترجمة لِلَقب بنفس المعنى، وربما يكون هذا اللقب مشابهًا للقب المنذر (أي أن يكون اللقب جاء من ضفيرتين من شعر عنده).

1.8- اللقاءات الثلاث

ذكرنا سابقًا أن وفدًا من قريش ذهب إلى حَبْرٍ في يثرب ليسألوا عن نبي ظهر عندهم، وأعطاهم هذا الحبر مسائل لِيَتحَدُّوا بها النبي عليه السلام، وذكرنا كذلك أن هذه المسائل قد علمها الحبر من أستاذه، والذي علمها من أستاذه، فأستاذه حتى الأستاذ الأول الذي قابل ذا القرنين.

ولا نعرف حقيقة كيف تقابلا (الأستاذ الأول وذو القرنين) وماذا تحدثا، ولكننا نستطيع التخمين اعتمادًا على الطبيعة البشرية العامة في سير الأمور:

لنفترض أنك تقوم بالوعظ والتدريس، ولنفترض أن شخصًا رحالة قد مَرَّ على مدينتك وأنه استقر فيها عدة أيام، وتعرفتما على بعض، وأخبرك قصصًا عجيبة عما شاهده في رحلته،، ولنفترض أنك ذو فراسة وتعلم معادن الناس، ورأيت أن هذا الشخص لا يكذب،، ولهذا فإن هذه القصص ستؤثر فيك حتمًا، ولكن مع الشهور والسنوات التي تلي ذلك ربما تنسى هذه القصص.

ولنفترض أنه بعد خمس سنوات قد مَرَّ عليك نفس الشخص، وجلستما وتحدثتما وأخبرك عما رآه في رحلته خلال السنوات الخمس السابقة.

الأمر مختلف الآن ... فتأثير القصة عليك أعلى من تأثيره في المرة السابقة، فأنت الآن ترى صديقًا تعلمه وتعلم شخصيته وعندك علم مسبق أنه رحالة، وعندما تراه تكون في شوق لمعرفة قصصه، ويكون وقع هذه القصص عليك ذا تأثير أعلى.

ولنفترض أنه بعد 15 سنة قد مَرَّ عليك نفس الشخص، فإن هذه المقابلات الثلاث ربما تجعلك تُدخل قصة هذا الشخص في وعظك ودروسك.

وهنا غلبة التخمين ... لقد كانت هناك أهمية لقصة ذي القرنين إلى الدرجة أنها كانت تُنْقل من جيل إلى آخر، ولكن ليس بنفس الدرجة من الأهمية أن يتم توثيقها وتعميمها في دروس الوعظ والإرشاد للعموم، وربما بسبب أن قصة ذي القرنين كانت عجيبة ومن الممكن أن لا يُصدقها عموم الناس.

وهنا غلبة تخمين المؤلف: وهو أن الأستاذ الأول الذي نقل قصة ذي القرنين قد تقابل مع ذي القرنين ثلاث مرات في حياته، وأن هذه المقابلات هي التي أعطت لقصة ذي القرنين الزخم الكافي لأن تنتقل عبر الأجيال.

1.9- رحلة ذي القرنين

من كل الاستنتاجات السابقة فإننا نستطيع هنا وضع سيناريو ابتدائي لمراحل رحلة ذي القرنين:

فغلبة التخمين أن ذا القرنين هو يهودي أثيوبي (أو قريبا من اليهود)، خرج من أثيوبا إلى مصر في حوالي 360 ميلادية (تزيد أو تنقص قليلًا)، وفي ذلك الوقت فإن المدن الرئيسية في الإمبراطورية الرومانية كانت روما والقسطنطينية وأثينا والقدس ودمشق وقرطاج (في تونس).

والظاهر أن ذا القرنين قد وضع برنامجًا لزيارة هذه المدن وبترتيب سهل منطقي:

- ذهب من مصر باتجاه القدس.
- وفي سيناء تعرف على حبر يهودي (وهو الأستاذ الأول الذي تحدثنا عنه).

- ووصل إلى القدس ثم أكمل رحلته إلى دمشق.
- ثم وصل إلى القسطنطينية.
- ثم وصل إلى أثينا.
- ومن أثينا وصل برًّا إلى روما (وقد كانت الطرق معبدة بين أثينا وروما إذ اهتم الرومان بتعبيد الطرق في كافة أنحاء إمبراطوريتهم).
- ومن روما قرر الذهاب إلى تونس بحرًا، إذ كانت تونس هي الحديقة الخلفية للإمبراطورية الرومانية.
- ومن تونس قرر رؤية بحر الظلمات (المحيط الأطلنطي) وهو البحر الذي ظنه الكنعانيون أنه نهاية الأرض، وللتذكير فإن عقبة بن نافع قد جاهد حتى وصل إلى هذا البحر ودخل فيه وقال كلمته المشهورة: اللهم لو كنت اعلم أن وراء هذا البحر أرضاً لخضته إليها في سبيلك. فذو القرنين لم يكن الوحيد الذي كان يرغب في رؤية ما كان يُظن (وقتها) أنه نهاية الأرض.
- وفي رحلته مر على مدينة الداخلة على ساحل بحر الظلمات، والتي يوجد في محيطها ينبوع ماء حار (العين الحمئة).
- ورجع من الداخلة إلى مصر، وهنا كان عنده خياران: إما الرجوع إلى أثيوبيا أو الاستمرار في الرحلة. وفي ذلك الوقت كان يُنظر للهند أنها حضارة غامضة لا يُعرف عنها الكثير، مع أنها (الهند) كانت مصدر التوابل للإمبراطورية الرومانية، ويبدو أن الفضول والرغبة في المعرفة قد غلبت ومضى ذو القرنين في رحلته تجاه الهند.
- وفي طريقه مر على سيناء وتقابل للمرة الثانية مع الأستاذ الأول.
- وذهب إلى فارس ومن فارس وصل إلى الهند.
- ومن الهند قرر الذهاب إلى أرض القز والحرير (الصين)، وربما ذهب بحرًا، حيث كان يوجد طريق بحري عامر (طريق التوابل) يصل الهند إلى الصين.
- ووصل في رحلته إلى تايوان، ومر على تلك القمة التي ذكرناها في أول هذا الفصل.
- ومن تايوان وصل إلى الصين، ومنها أخذ الطريق البري (طريق الحرير) وهو الطريق التجاري البري الرئيسي الذي يربط الصين مع بلاد الشام.
- ووصل إلى فارس، ولسبب أو لآخر فقد اتجه نحو أذربيجان وجورجيا (بلاد ما بين السدين).
- ومن أذربيجان وجورجيا ذهب شمالًا إلى أرض الشركس، وهناك وجد القرية التي سألته المساعدة.

- وهناك بنى الردم ليبعد عن أهل القرية فساد يأجوج ومأجوج.
- وبعدها أخذ طريقه نحو بلاده (أثيوبيا)، وفي الطريق مر على سيناء وقابل الأستاذ الأول للمرة الثالثة.

وإذا انتبه القارئ فإن رحلة ابن بطوطة شبيهة لرحلة ذي القرنين وخصوصًا الجزء المتعلق بالذهاب إلى الصين.

1.10- مطلع الشمس ومشرقها

الآن ..... ما الفرق بين مطلع الشمس ومشرق الشمس؟ لماذا استخدمت الآيات عبارة "مطلع الشمس" بدلًا من العبارة المتوقعة في هذه الحالة والتي هي "مشرق الشمس"؟

لنضع أولا الآيات ذات العلاقة بهذا الموضوع، وسنصنفها لمجموعتين، المجموعة الأولى وهي الآيات التي تذكر كلمة "مشرق"، والمجموعة الثانية التي تذكر كلمة "مطلع":

المجموعة الأولى:

1.أ- "وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (البقرة -115).

2.أ- "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (البقرة -142).

3.أ- "لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" (البقرة -177).

4.أ- "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (البقرة -258).

5.أ- "قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ" (الشعراء -28).

6.أ- "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ" (الزخرف – 38).

7.أ- "رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا" (المزمل – 9).

8.أ- "رب المشرقين ورب المغربين" (الرحمن – 17).

9.أ- "رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ" (الصافات – 5).

10.أ- "وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا" (الأعراف – 137).

11.أ- "فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ" (المعارج – 40).

المجموعة الثانية:

1.ب- "حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا" (الكهف – 90).

2.ب- "وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوه منه ذلك من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا" (الكهف – 17).

الآن ... أول التحليل المنطقي هو الانتباه لنقاط التشابه والاختلاف، فما هي نقاط التشابه والاختلاف بين المجموعة الأولى والثانية؟

هناك نوعان من المشرق: المشرق الشمسي والمشرق الحقيقي، وأما المشرق الشمسي فقد تعرضنا له إذ إن الشمس تشرق كل يوم من مكان مختلف، وأما المشرق الحقيقي فهو عندما تنظر إلى النجم القطبي في السماء، وعندها يكون الشمال الحقيقي أمامك، ويكون يمينك المشرق الحقيقي، ويسارك المغرب الحقيقي. وهذان الاتجاهان (المشرق والمغرب الحقيقيان) لا يتغيران مع الأيام.

أي أن اسم "المشرق" ليس مرتبطًا بالضرورة بمكان شروق الشمس وإنما هو اسم اتجاه.

وكذلك الحال في آية إبراهيم (4.أ) فإن المشرق هنا لا يتعلق بمكان شروق الشمس، وإنما يتعلق بالاتجاه العام، أي أن ابراهيم قال للملك إن الله يأتي بالشمس من هذا الاتجاه (المشرق) فأتِ بها من الاتجاه المقابل.

وأما آية "بُعْدَ المشرقين" (6.أ) ففي تفسير الطبري (وغيره) فإن المشرقين هما المشرق والمغرب، وتم تغليب أحدهما على الآخر، ومثل ذلك أن نقول العُمَران ونقصد أبا بكر وعمر، وقد أورد الطبري شواهد لغوية على هذا التفسير.

وأما آيات "رب المشارق" فقد ذكرنا أن الشمس تشرق وتغرب كل يوم من مكان مختلف، وهنا كانت عبارة المشارق. وكذلك فإن عبارة المشارق والمغارب تعني (مجازًا) جميع الاتجاهات؛ فعندما نقول: "مشارق ومغارب فلسطين" فإننا نقصد جميع المناطق المحيطة بفلسطين.

وأما آية "رَبُّ المشرقين والمغربين" (8.أ) ففي الطبري (وغيره من التفاسير) فإن المعنى هو شروق الشمس وقت الشتاء وشروق الشمس وقت الصيف، حيث إن الزاوية بين هذين المشرقين هي الأكبر بين أي شروق وآخر. ولكن غلبة ظن المؤلف هو لتفسير آخر: ففي كل يوم (أي كل 24 ساعة) تحدث أربع ظواهر طبيعية واضحة: شروق الشمس وشروق القمر، وغروب الشمس وغروب القمر.

ولكن انتبه ... قول المفسرين الأقدمين له قيمة عالية، وربما يكون هو الصحيح، وسيظهر ذلك عندما ندخل في قصة أهل الكهف.

أما بالنسبة للمجموعة الثانية، فإن نقطة الاختلاف بينها وبين المجموعة الأولى (حسب انتباه المؤلف) أنه عندما يتم ربط المشرق بالشمس فإن الآيات تضع لفظة "مطلع" بدلًا من "مشرق"، فتكون "مطلع الشمس" بدلًا من "مشرق الشمس"، أي أن لفظة "مطلع" و"تطلع" في المجموعة الثانية مرتبطة ومتعلقة بظاهرة شروق الشمس نفسها.

وهنا يأتي السؤال ..... لماذا؟؟

إن مشرق الشمس هو نظير لمغرب الشمس من خلال مراقبتنا للشمس، ولكن من الناحية الهندسية فإن نظير "مغرب الشمس" هو "مطلع الشمس" وليس مشرقها:

دعونا أولًا نحدد مفهوم كلمة "طَلَعَ":

عندما يكون هناك رَجُلٌ في البيت وإحدى قدميه خارج الباب والأخري داخله فنحن لا نقول إن هذا الرجل قد طلع من البيت، ولكن عندما تخرج قدماه من الباب فعندها نقول خرج الرجل أو طلع الرجل من البيت.

الآن ... في الشكل التالي يوجد رسم للشمس بعد طلوعها من المشرق، وسنرمز لأعلى نقطة فيها (عند الشروق) بـ "أ"، وأدنى نقطة بـ "ب"، ولمركز الشمس بـ "م"، ولموقعنا على الأفق بـ "ع".

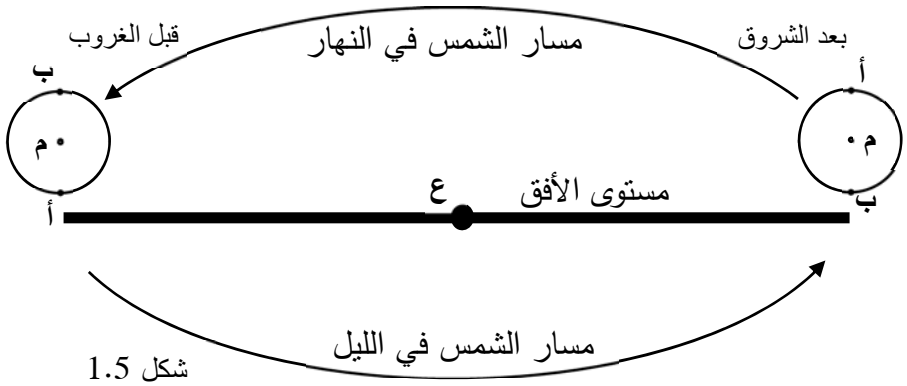

شكل 1.5

الآن ... شروق الشمس يحدث عندما تصل النقطة أ إلى الأفق، وتطلع الشمس عندما تصل النقطة "ب" إلى الأفق، أمّا في الغروب فإن الذي يحدث هو العكس: إذ يحدث الغروب عندما تصل النقطة "ب" إلى الأفق، أي أن شروق الشمس يحدث عندما نرى أول شعاع ضوء، ويحدث الغروب عندما يختفي آخر شعاع منه.

الآن ... لنقيس الزاوية بين مركزي الشمس في الشروق والغروب، أي نقيس الزاوية بين مركز الشمس وقت الشروق وموقعنا (ع) ومركز الشمس وقت الغروب (شكل 1.6).

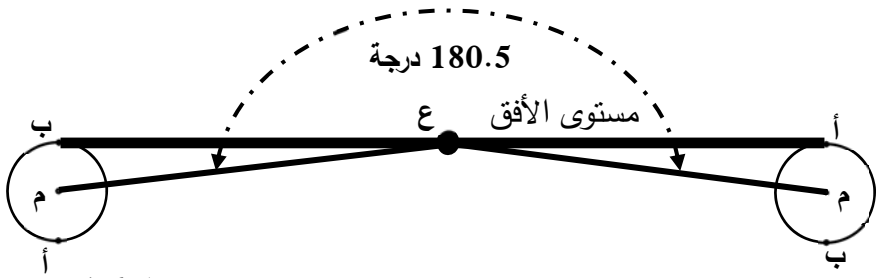

شكل 1.6

والزاوية هي 180.5 درجة، والزيادة تأتي من كون الزاوية الشمسية تساوي نصف درجة، أي أن الزاوية بين م.ع.أ في الشروق تساوي ربع درجة، والزاوية بين م.ع.ب في الغروب تساوي

ربع درجة، وزاوية الأفق وهي الزاوية بين أ.ع.ب تساوي 180 درجة، فيكون المجموع هو 180.5 درجة.

وأما الزاوية بين مركزي الشمس في مطلعها وغروبها، أي الزاوية بين مركز الشمس وقت الطلوع وموقعنا (ع) ومركز الشمس وقت الغروب، فهي 180 درجة بالتمام (شكل 1.7).

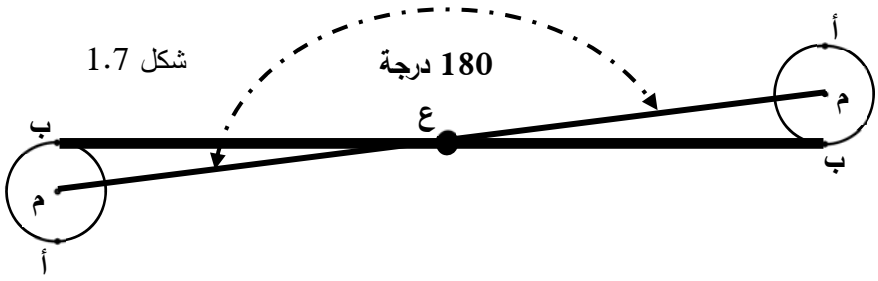

ولهذا السبب قلنا إن نظير المغرب من الناحية الهندسية هو "مطلع الشمس" وليس مشرقها.

وهنا نأتي لغلبة الظن في السبب الذي من أجله تم استبدال عبارة "مشرق الشمس" (وهي الكلمة الدارجة) بكلمة "مطلع الشمس": وهو الدقة في الوصف فمطلع الشمس هو النظير الهندسي لمغرب الشمس.

الفصل الثاني – أهل الكهف

قال الله تعالى: "أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12) نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (16) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (17) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18) وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20) وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (21) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (22) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (24) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا" (الكهف – 26).

لقد علم العرب بقصة أهل الكهف أول مرة من خلال ذهاب وفد من قريش (النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط) إلى حبر يهودي في يثرب وسألوه عن رجل عندهم أعلن نبوته (الرسول عليه السلام)، فأخبرهم الحبر بقصتين (قصة ذي القرنين وأهل الكهف) إن صدق فيهما فهو نبي وإلا فلا.

وهنا يجب التنبيه لأمر مهم .... القصة السابقة هي المشهورة ولكن لا يوجد سند يُثبتها؛ إذ اهتم العلماء في تحقيق السند المُتعلق بأحاديث الرسول عليه السلام والأخبار المتعلقة بالأحكام الشرعية، وأما في غير ذلك فلم يكن هناك اهتمام بالتثبت والتحقق من سند الأخبار الأخرى كالقصص التاريخية.

ولكن هذه القصة (ذهاب وفد من قريش إلى حبر يهودي) منسجمة مع آيات ذي القرنين وأهل الكهف: فسورة أهل الكهف هي سورة مكية، ومن الواضح أن هناك تحديًا في السؤال المتعلق بذي القرنين، كما أنه من الواضح أن أيات أهل الكهف تتعلق بسؤال تحدٍ آخر، ولهذا السبب فإن غلبة الظن أن القصة السابقة هي صحيحة ومعتمدة.

وانتبه أن النضر وعقبة قد قُتلا في بدر (في المعركة أو بعدها بقليل) وبالتالي لا نعلم حقًّا ما قاله الحبر لهما، وقصتهما مع الحبر ذهبت بموتهما إلا الأمور التي ذكرها القرآن.

ولنفس النظرة المنطقية التي ناقشناها في الفصل الأول فإن الحبر اليهودي قد علم بقصة أهل الكهف من أستاذه، والذي علمها من أستاذه، فأستاذه حتى الأستاذ الأول الذي شهد قصة أهل الكهف.

ولنفس الأسباب التي ناقشناها في الفصل الأول فإن قصة أهل الكهف تستطيع أن تنتقل عبر حوالي عشرة أجيال دون أن تتشوه كثيرًا، وبعدها يتسارع التشوه في القصة.

وعشرة أجيال تكافئ حوالي 200 سنة، أي إذا أخبر الحبر قريشًا بالقصة عام 613 ميلادية فإن القصة قد تصمد وتحافظ على كيانها (من التشوه) إذا حدثت حوالي 413 ميلادية.

على أية حال فإن قصة أهل الكهف (كما ذكرها الحبر لوفد قريش) قد أتاها قليل من التَّشَوه والخطأ، وكذلك فإن النظرة إلى التاريخ الروماني تضع غلبة ظن المؤلف أن أهل الكهف قد استيقظوا عام 340 ميلادية (تزيد أو تنقص قليلًا) ولأسباب سنذكرها لاحقًا.

2.1- من هم أهل الكهف؟

الآية تقول: "أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا"، وقد اختلف العلماء في تفسير معنى الرقيم، وكان أحد التفاسير أن الرقيم هو اسم المدينة التي ينتمي إليها أهل الكهف.

وقد تبين للمؤلف أن البتراء (المدينة الأثرية الشهيرة في الأردن) هو الاسم الروماني لهذه المدينة ومعناها في اللغة الرومانية: "الصخرة"، وأما النبط فقد سموا مدينتهم بـ "الرَّقيم"، ولكن هذا الاسم قد اندثر مع احتلال الرومان للمدينة عام 106 ميلادية ومع نزوح السكان من البتراء بشكل كامل في حوالي 500 ميلادية؛ إذ لم يعد للمدينة أية أهمية في التجارة الدولية بعد أن اعتمد الرومان على الطرق البحرية في التجارة الدولية.

ولم ينتبه الأثريون إلى الاسم القديم لمدينة البتراء إلّا في الخمسينيات من القرن العشرين بعد اكتشاف نقوش مكتوبة في البتراء تذكر هذا الاسم، وكان أولها مسلة منحوتة وفيها نقش كتابة وتبين أنها ذكرى لشخص عاش في الرقيم لكنه مات ودُفِن في جرش (المرجع Browning).

وهنا يأتي سؤال:

لنفترض أنه يعيش معنا في مدينتنا مجموعة ينتمون لمدينة بعيدة عنا (ولنسميها تسهيلًا مدينة ألفا)، فهل نستطيع تسمية هذه المجموعة بـ "أصحاب ألفا"؟

لقد ذكر القرآن كلمة "أصحاب" مرتبطة بمدينة عدة مرات، منها:

1. "وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ" (الحجر - 80).
2. " وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (الحج -44).
3. "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ" (يس - 13).

وبالتالي من الممكن تسمية أهل المدينة بـ "أصحاب المدينة". وكما ذكرنا سابقًا، فإن العرب كانت تسمي الكل بالجزء والجزء بالكل، ولهذا فمن الممكن تسمية تلك المجموعة (مجازًا) بـ "أصحاب ألفا". وهنا نستطيع تفسير الآية أنها: هل حسبت أن أصحاب الكهف الذين هم أصحاب مدينة الرقيم كانوا قصة عجيبة!

وكذلك يمكن تفسير الآية بشكل آخر: هل حسبت أن قصة أهل الكهف وقصة أصحاب الرقيم كانت عجيبة، أي أنه توجد في الآيات قصتان، أو قصة مرتبطة بطرفين: أهل الكهف وأهل مدينة الرقيم.

الآن .... هناك أكثر من مكان قد تم نسبته لأهل الكهف: فهناك مكان في الأردن قرب العاصمة، ومكان في تركيا في مدينة أثرية اسمها أفسوس، وهناك مكان في الأندلس، وهنا المؤلف يقترح البتراء كمكان لأهل الكهف. فكيف نستطيع أن نحكم أي الأمكنة هي الصحيحة؟

نستطيع وضع الشروط التالية اللازمة توفرها في مكان الكهف:

1. الكهف يجب أن يكون على مسافة قريبة من المدينة (ساعة مَشْيًا على الأكثر) وإلا لم يعد هناك قيمة لشراء الطعام منها، فقد أرسل الفتية شخصًا واحدًا لإحضار الطعام من المدينة، ولو كانت المسافة بعيدة لكان الأولى أن يذهب أكثر من شخص لاحضار مؤونة تكفيهم مدة من الزمن، ولكنه قد ذهب شخص واحد (وسنسميه هنا زيدًا للتسهيل)، وهذا معناه أن المؤونة ليست لازمة، وهذا يتضمن أن المسافة بين الكهف والمدينة ليست بعيدة.

   وانتبه هنا أن الفتية لم يريدوا أي طعام وإنما أرادوا طعاما طيبًا ("فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا")، وهذا يتضمن أن الفتية كانوا ميسوري الحال، وإذا كانت المسافة بعيدة بين الكهف والمدينة فإن الطعام الجاهز سيجف (أو يبرد) قبل أن يصل إليهم.
2. الكهف يجب أن يكون على مسافة قريبة من "المدينة"، ونقطة التركيز هنا هي كلمة "مدينة"، أي أننا لا نتحدث عن قرية قد ذهب إليها زيد وإنما ذهب زيد لاحضار الطعام من مدينة.
3. يجب أن يكون اسم المدينة (أو المنطقة أو الجبل) هو الرقيم.
4. كما سيتم تبيانه لاحقًا فإن الكهف يجب أن يكون في الجزء الشمالي من الجبل (أو المنطقة).

ومعظم الأماكن التي تم نسبتها لأهل الكهف قد تم الادعاء أن اسمها هو الرقيم، ولكن ضمن علم المؤلف فإن المكان الوحيد الذي له اثبات أن اسمه كان الرقيم هو مدينة البتراء.

وضمن الشروط السابقة فإننا نستطيع استبعاد قرية الرجيب (جنوب شرق عمَّان احداثيات: 31.898927778N 35.973730556E)؛ حيث إن أقرب مدينة (قديمًا) لها هي مدينة عمَّان (واسمها فيلادلفيا ذلك الوقت) على 6.68 كم مسافة افقية مباشرة منها.

وسرعة المشي عند الإنسان هي 5 كم في الساعة، وإذا كانت تضاريس الأرض غير مستوية فإن مسافة المشي تزيد وسرعة المشي تقل، والتضاريس بين قرية الرجيب ومركز فيلادلفيا قديمًا (المدرج الروماني) ليست مستوية، وبالتالي نستطيع تقليل السرعة إلى حوالي 4 كلم في الساعة، ولنفترض جدلًا أن مسافة المشي لم تتغير (اي أنها 6.68 كم) فإن الزمن اللازم لذهاب زيد من قرية الرجيب إلى المدينة والرجوع منها هي حوالي ثلاث ساعات ونصف، وإذا أضفنا الوقت اللازم لزيد للبحث عن الطعام وشراؤه داخل المدينة (ولنقل نصف ساعة)، فإن الوقت اللازم لزيد للذهاب والرجوع هي حوالي أربع ساعات (على الأقل)، وهذا لا يستقيم مع الشرط الأول والثاني.

وبالنسبة للشرط الثالث فإنه يوجد ادعاء أن قرية الرجيب كانت تُسمى الرقيم، وهذا الادعاء جاء من نقطة انتباه أن بعض العرب يقومون بقلب القاف جيم وقلب الميم باء، وبالتالي فإن الادعاء هو أن هذه القرية كانت تُسمى قديمًا "الرَّقيم" ثم قلبها العرب إلى "الرَّجيب"، وهذه نقطة انتباه ذكية جدًّا ولكنها تبقى نقطة انتباه وهي بحاجة للإثبات، وضمن علم المؤلف فإنه لا يوجد إثبات على ذلك (وسنعود لمناقشة هذه النقطة لاحقًا).

وبالنسبة للشرط الرابع فإن الكهف في قرية الرجيب يقع في الجزء الجنوبي من الجبل، وهذا كذلك سنناقشه لاحقًا.

والجدير بالذكر أن قصص النائمين في كهف لمدة طويلة قد تم ذكرها في حضارات مختلفة، وأول ذكر مكتوب لها كان في كتابات أرسطو حيث كان يشرح في كتابه (الفيزياء) مفهوم الوقت وضرب مثلًا النائمين الذين استيقظوا بعد فترة في جزيرة ساردينيا (المرجع: Horst). وهناك قصة يونانية مشهورة عن غلام اسمه أبيمانيديس (Epimenides) في القرن السابع قبل الميلاد نام مدة 57 سنة في كهف في كريت (المراجع: Wiki-Ep, Horst)، وهناك قصة يهودية من أيام احتلال نبوخذنصر للقدس عن غلام اسمه أبيميليش (Abimelech) نام مدة 66 سنة (المراجع: Wiki– Baruch, Horst).

ويوجد هناك قصة مشهورة في الأدبيات المسيحية عن النائمين السبعة (Seven Sleepers) في كهف قرب المدينة الأثرية أفسوس (Ephesus) في تركيا، ولكن القصة المسيحية مختلفة قليلًا عن القصة القرآنية: ففي القصة المسيحية فإن الحاكم أمر باغلاق الكهف عقابًا للفتية (المرجع: Catholic Encyclopedia)، ولا يوجد في القصة ذكر لكلب، ولا يوجد مكان هناك اسمه الرقيم: لا المدينة ولا الجبل ولا الكهف الذي كانوا فيه.

ومصدر هذه القصة (النائمون في أفسوس) هو يعقوب الساروجي (Jacob of Sarug) وهو شاعر ورجل دين سرياني عاش بين 451 و 521 ميلادية، وقد نقلها حسب قوله من مصدر قديم. ولم تَنتشر هذه القصة في الأوساط المسيحية إلا في القرن الثالث عشر الميلادي عندما كتب الراهب جون ديفورغان (James de Voragine) كتابه The Golden Legend (المرجع: Horst).

2.2- سيقولون ويقولون ويقولون

لنبدأ قصة أهل الكهف من الآية 22:

"سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا".

وهنا أمران يثيران الانتباه:

أولًا: من هم الذين سيقولون ويقولون ويقولون؟ هل هم البشر عمومًا؟ هل هم وفد قريش؟ أم أن هذا الأمر يتعلق بالمستقبل؟

وغلبة ظن المؤلف أن الضمير يعود لوفد قريش؛ لأن قصة أهل الكهف لم تكن ضمن المعرفة العامة ذلك الوقت، ولم تكن معروفة عند العرب قبل ذلك الوقت، ولهذا السبب فقد تم استخدامها كقصة تحدٍّ للرسول عليه السلام، وهذه الآيات كانت الجواب لذلك التحدي، وبالتالي فإن الأولوية في التحليل أن نعتبر أن هذه الآيات موجهة بشكل رئيسي لوفد قريش، وبالتالي يكون غلبة الظن أن الضمير في "يقولون" يعود لهذا الوفد.

ثانيًا: هناك ثلاثة مواقف في الآية:

1- هناك من سيقول ثلاثة.
2- وهناك من يقول خمسة، وهذا رجم بالغيب.
3- وهناك من يقول سبعة.

الآن ... العدد الثاني هو رجم بالغيب كما هو نص الآية، وأما العدد الثالث فهو مبني على علم (كما فهمها ابن عباس) إذ جاء العدد "سبعة" بعد عبارة "رجمًا بالغيب"، وبالتالي العدد سبعة ليس رجمًا بالغيب وإنما جاء من علم.

ولكن ما وصف العدد الأول .... فإذا كان العدد الثالث جاء من علم والعدد الثاني كان رجمًا بالغيب فما هو الموقف من العدد الأول؟

ذكرنا سابقًا أن الضمير المستتر يعود لوفد قريش، وبالتالي فإن وفد قريش سيقول إن عدد الفتية ثلاثة، وأنه يقول إن عددهم خمسة (رجمًا بالغيب)، وأنه يقول إن عددهم سبعة (بناء على علم).

كيف ذلك؟ كيف نستطيع أن نضع سيناريو يجعل وفد قريش يقول كل ما سبق؟

أفضل سيناريو ممكن عند المؤلف هو التالي:

1. تذهب مجموعة من قريش يقودهم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى يثرب وذلك لسؤال أحبار اليهود هناك عن نبي ظهر عندهم.
2. لكن في مثل هذه الأمور لا تذهب كل المجموعة إلى الحَبر، وإنما يذهب اثنان أو ثلاثة إلى الحبر وتنتظر المجموعة خارجًا.
3. يذهب النضر وعقبة لملاقاة الحبر.
4. يخبرهما الحبر عن رحالة قديم ويذكر لهما قصته.
5. ويخبرهما عن فتية ناموا في الكهف ويذكر لهما قصتهم ويقول لهما إن عددهم كان سبعة.
6. وكما سيتم تبيانه فإن قريشًا كانت تتصف بأخلاق عالية نسبيًّا مقارنة بالمستوى العام ذلك الوقت، وأحد هذه الأخلاق أنهم يحذرون الكذب صراحة، ولكن إن وجدوا فرصة للكيد دون كذب صريح فسيقتنصوها.

7. ومن أجل تعقيد مسئلة التحدي على الرسول عليه السلام، ومن أجل الضمان أن قصص التحدي لن يتم تسريبها، فقد اتفق النضر وعقبة أن لا يذكرا العدد وإنما يذكران فقط قصة هؤلاء النائمين.
8. وعندما اجتمع النضر وعقبة مع باقي المجموعة فقد ذكرا لهم قصة النائمين ولم يذكرا العدد.
9. وسأل أحدهم عن عددهم، فانبرى أحد المجموعة (غير النضر وعقبة) وقال: هم خمسة (فراسةً منه وبثقة كاملة)، ولم يعترض النضر وعقبة على ذلك.
10. وسأل أحدهم عما سيخبرون به خواصهم (أصدقاءهم المقربين)، فاتفقت المجموعة أن يقولوا لأصدقائهم أن عدد النائمين كان ثلاثة.

ولكن ... هل النقطة 9 ممكنة؟ هل هي منطقية؟

إن التَّطَوع للتأكيد دون علم أو منطق هو صفة ظاهرة في كثير من المجتمعات، وإذا أراد القارئ التأكد من ذلك فليذهب إلى المقاهي في كثير من البلاد وإذا انتبه فسيجد البعض يُجادل فيما يفقه وما لا يفقه فيه، وربما تسمع شخصًا يُؤكد (بالعامية) أنه: "سيحلق شاربه إن لم يكن كذا هو كذا"، وربما تحدث معاركة بين اثنين بسبب اختلاف في رأي لا يفقه فيه كلاهما.

الآن ..... هذا السيناريو ممكن ومنسجم مع تسلسل الآيات، وفيه عدد (ثلاثة) اتفقوا أن يقولوه لخواصهم (أصدقائهم المقربين)، وهناك عدد (خمسة) قد قاله أحدهم رجمًا بالغيب، وهناك العدد (سبعة) الذي قاله الحبر للنضر وعقبة.

وهنا سؤال .... لماذا يذهب النضر وعقبة إلى كل هذا المدى؟ لماذا لا يختلقان قصة ويكذبان صراحة على الرسول عليه السلام؟

لقد كانت قريش تتصف بأخلاق عالية نسبيًا مقارنة بالمستوى العام ذلك الوقت، وهذا ما جعل قريشًا إحدى سادات العرب، وللمقارنة فإن بعض اليهود كان يُظهر الاقتناع بالإسلام أول النهار ثم يرفض آخره على أمل أن يُشكك الناس في الإسلام: "وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (آل عمران – 72)، وكان هذا خبثًا ومكيدة منهم.

وفي المقابل فقد قال تعالى: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ" (المسد – 3).

وهنا يأتي السؤال ..... لماذا لم ينتبه أبو لهب لتلك المكيدة؟ لماذا لم يَدَّعِ الإسلام من أجل أن يُفَند كلام القرآن؟

وبعض الناس يقول إن ما سبق هو إحدى معجزات القرآن؛ وذلك لأنه لا أحد من كفار مكة قد انتبه لهذه المكيدة كما انتبه لها اليهود!!!

ولكن الموضوع ليس كذلك، وإنما الموضوع يتعلق بطبيعتين مختلفتين: طبيعة قريش وطبيعة اليهود:

فقريش كانت تتصرف بجدية ومصداقية أعلى من المستوى العام في الجاهلية، وهذا ما جعلهم أهل ثقة عند العرب، وهذا ما جعلهم إحدى سادات العرب،، وأما طبيعة اليهود فكان فيها الخبث، والخبيث لا يهتم بمصداقيته، وهذه حماقة إذ يُمكن لفاقد المصداقية أن يكسب بعض المعارك ولكنه سيخسر الحرب.

وهنا النقطة ..... حتى لو انتبه أبو لهب لتلك المكيدة فإنه لا يُمكنه أن يُنفذها لأنها نقيصة وعَيْبٌ على سادات العرب.

وكذلك الحال في موضوع النضر وعقبة .... فليس سهلًا عليهما أن يكذبا صراحة، ولكن إن كانت هناك فرصة للكيد في المنطقة الرمادية وتعقيد الأمور دون الكذب الصريح فمن المؤكد أنهما سيقتنصانها.

الآن ..... قلنا إن النضر وعقبة لم يستسهلا (ضمن أخلاق قريش وقتها) الكذب الصريح، ولكننا قلنا في النقطة 11 في السيناريو السابق أن المجموعة قد اتفقت على عدد غير العدد الصحيح (أي اتفقت المجموعة على الكذب)، فهل يوجد هنا تناقض؟

الكذب في الحالة الأولى ليس كالثانية، ففي الأولى لا يوجد شهود، وأمَّا في الثانية فهناك جمع من الشهود أنهم اتفقوا كجماعة على خطة مُحددة، وبالتالي فالأمران مختلفان.

2.3- العدد سبعة من علم .... ولكن هل هو صحيح؟

وكما ذكرنا فإن العدد سبعة جاء من علم، ولكن الآية تقول بعد ذلك: "قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ"، فكيف ذلك؟

لأنه ليس من الضروري للخبر الذي يأتي من علم أن يكون صحيحًا؛ فربما جاء الخطأ والنسيان في ثنايا النقل عبر الأجيال.

وانتبه كذلك أن النظريات العلمية (والتي تم وضعها باجتهاد وذكاء كبير) لا تبدأ صحيحة، وإنما عليها أن تخطو إلى الخطأ كي تصل إلى الصحيح، ويقوم العالم بوضع النظرية ثم يأتي آخر ويُعدلها ثم آخر وآخر حتى تصل النظرية إلى الصحيح.

وهذه هي النقطة ... العدد 7 كان خبرًا جاء إلى قريش من علم، ولكن ظاهر النص يفيد أن هذا العدد غير صحيح، أي أن عدد الفتية في الكهف لم يكن سبعة، وقد طلب القرآن من الرسول عليه السلام أن لا يُناقش في عدد الفتية: "فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا".

2.4- قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا

تقول الآية: "وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25)"، ولكن الآية التي تليها تقول: "قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ... (26)"، وهنا نأتي لتعارض ظاهري: فالآية الأولى تقول لبثوا ولكن في الآية الثانية تُلمح أن ذلك غير صحيح.

وهناك تفسيران في المراجع لهذا التعارض:

التفسير الأول: أن الواو في "ولبثوا" في الأية 25 معطوفة على "ويَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ" في الآية 22، وبالتالي يصبح المعنى: يقول وفد قريش إن عدد الفتية كان سبعة وإنهم لبثوا في الكهف 300 سنة، ولكن هذا الذي يقولونه غير صحيح.

التفسير الثاني: أن "لبثوا" في الآية 25 غير عن "لبثوا" في الآية 26، فالأولى تتعلق بالمدة التي قضوها في الكهف، والثانية تتعلق بالمدة الزمنية بين ظهورهم ونزول الآية.

والتفسير الثاني مستبعد، حيث لا يوجد أي قرينة تدل أن لبثوا الأولى غير لبثوا الثانية، وكذلك فإن كلمة لبث لا تصلح لوصف الوقت الذي انقضى حتى الآن، فمثلًا إذا اشتريت سيارة قبل خمس سنوات وبعتها قبل سنتين فأستطيع أن أقول إن هذه السيارة لبثت عندي ثلاث سنوات، ولكن كلمة لبث لا تصلح لوصف الوقت الذي انقضى منذ بيعي السيارة (أي قبل سنتين).

ولهذا السبب فإن التفسير الذي يغلب على الظن هو التفسير الأول، وهو أن وفد قريش يقول إن الفتية ناموا في الكهف 300 سنة ولكن هذا الذي يقولونه غير صحيح.

وكذلك فإن الآية 25 قد أوقعت كثيرًا من المفسرين في عقدة السببية:

عندما نقوم بتحليل المواضيع والمواقف والمشاكل والغموض فإننا نستخدم أهم أداة في المنطق وهي الانتباه للتشابه والاختلاف، أي الانتباه لنقاط التشابه في المواضيع المختلفة، والانتباه لنقاط الاختلاف في المواضيع المتشابه.

ومن نقاط التشابه والاختلاف نبدأ بوضع العلاقات المحتملة (أي تحديد السبب والمسبب، والدافع والنتيجة، والكل والبعض، إلخ)، ومن ثم نقوم بالملاحظة والتجربة لتأكيد أو نفي هذه العلاقات، ومن ثم نُحدد العلاقات المؤكدة في الموضوع المطروح.

الآن .... نقاط التشابه والاختلاف ليست أدلة وإنما نقاط انتباه، أي أن نقاط التشابه والاختلاف تُلفت انتباهنا لأمور في الموضوع المطروح وتدفعنا لدراسة هذه الأمور، ولكن هذه النقاط (وحدها) ليست أدلة وليست إثباتات.

وعندما يقوم أحد الباحثين باستخدام نقاط التشابه والاختلاف كأدلة فيكون عندها قد وقع في عقدة السببية، وهو ما سنشرحه هنا في تفسير الآية 25:

فالآية تقول:"وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا"، ومباشرة انتبه كثير من المفسرين إلى نقطة التشابه: فـ 300 سنة شمسية تساوي 309 سنة قمرية، وعندها تم تفسير الآية أن الفتية لبثوا في الكهف 300 سنة شمسية والتي تعادل 309 قمرية،، بل إن البعض قد اعتبر هذه الآية إعجازًا علميًّا.

أولًا: العلاقة بين السنة الشمسية والقمرية معروفة منذ أيام السومريين في العراق قبل 5 آلاف سنة، إذ كانت المهارات الفلكية عند السومريين في غاية التقدم.

ثانيًا: هذه النقطة في التشابه واضحة في الآية، وهذا يلفت الانتباه ولكن علينا التأكد أن الآية هكذا معناها، أي أن نقطة التشابه تُلفت الانتباه ولكنها ليست (وحدها) هي الدليل.

والكلمات في الآية السابقة واضحة باستثناء "ازدادوا"؛ فهي ليست دارجة في أحاديثنا العامة الحالية. وازداد لها معنيان: التضخم، مثال ذلك: ازداد الكيس ثقلًا، أي أن الكيس كان له وزن

محدد، ثم لسبب أو لآخر كالرطوبة أو قيام شخص بإضافة شيء في الكيس فإن وزن الكيس زاد،، وطلب الزيادة، مثال ذلك: ازداد العمال أجورهم، أي طلب العمال زيادة في الأجر.

وانتبه أن "ازداد" و"اسْتَزاد" لهما نفس المعنى (أي طلب الزيادة) ولكن مع الإصرار في الثانية: فازداد العمال أجورهم تعني أنهم طلبوا الزيادة، وأمَّا: استزاد العمال أجورهم فتعني أنهم طالبوا بالزيادة، أي أن المعنى الثاني فيه إصرار وعدم رضى بالوضع الراهن.

وهناك احتمالان آخران: وهو أن "ازداد" (كفعل) يعود للفتية، أو يعود لوفد قريش.

وبالتالي يوجد أربع احتمالات في تفسير الآية:

أ- يقول وفد قريش إن الفتية ناموا 300 سنة، وزاد نوم الفتية (لسبب أو لآخر) 9 سنوات أخرى.

ب- يقول وفد قريش إن الفتية ناموا 300 سنة، وطلب الفتية (أو أحد منهم) زيادة النوم 9 سنوات أخرى.

ت- يقول وفد قريش إن الفتية ناموا 300 سنة، وزاد الوفد (لسبب أو لآخر) العدد 9 سنوات أخرى.

ث- يقول وفد قريش إن الفتية ناموا 300 سنة، وطلب الوفد (أو أحد منهم) زيادة العدد 9 سنوات أخرى.

والاحتمال أ و ب ليس لهما معنى، والاحتمال ت و ث قريبان من بعضهما، إلا أن ث أكثر وضوحًا. وإذا أخذنا الاحتمال ث فهذا معناه أن الوفد تناقش الأمر واتفقوا لتعقيد الأمر على الرسول عليه السلام أن يُخبروا خواصهم (أصحابهم المقربين) أن سنوات نوم الفتية كان 309 سنة بدلًا من 300.

وإذا ثبت هذا التفسير فإنه لا يوجد علاقة مباشرة بين العددين 300 و 309 وبين السنة الشمسية والقمرية.

وهنا نرجع إلى العلاقة بين "الرَّجيب" و"الرَّقيم": فقد تم الانتباه أن اسم "الرَّجيب" ربما يكون أصله هو "الرَّقيم"، وذلك لأن بعض قبائل العرب الأقحاح يقومون بقلب القاف جيم وقلب الميم باء. وهذا انتباه ذكي جدًّا لنقطة تشابه (أي التشابه بين الرجيب والرقيم)، ولكن

نقاط التشابه (وحدها) ليست إثباتات إذ ربما يكون الاسم الأصلي للقرية هو الرجيب ولم يكن أبدًا الرقيم.

2.5- التوجيب والإهمال

عندما نزلت قصة ذي القرنين فإنها بدأت بالآية: "وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ"، وأما في قصة أهل الكهف فقد بدأت بمخاطبة الرسول عليه السلام: "أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا".

ومن الواضح أن آيات أهل الكهف قد جاءت جوابًا لسؤال إلا أن ذلك لم يتم ذكره، وإنما تم توجيه الخطاب للرسول عليه السلام فقط.

وإذا استخدمنا اللغة الدارجة حاليًا فإننا نستطيع أن نقول إن السائلين قد تم "توجيبهم" (ذِكرهم، الإشارة إليهم، إلخ) في قصة ذي القرنين، وتم "تطنيشهم" (إهمالهم، عدم الاهتمام بهم، إلخ) في قصة أهل الكهف.

لماذا حدث ذلك؟

لأن وفد قريش (ضمن غلبة ظن المؤلف) لم يقوموا بتشويه قصة ذي القرنين فتم "توجيبهم" في ذلك، وأما في قصة أهل الكهف فقد قاموا بتشويهها وتعقيدها كيدًا منهم فتم "إهمالهم" وعدم الإشارة إليهم.

2.6- كم لبث الفتية في الكهف؟

السؤال الآن ... كم لبث الفتية في الكهف؟ وهل من الممكن تحديد ذلك ضمن المعطيات المتوفرة؟

توجد فرضية لذلك ولكن علينا أولًا دراسة السيناريوهين التاليين:

السيناريو الأول:

لنفترض أننا في عام 340 ميلادية في مدينة الرقيم (والتي يُسميها الرومان البتراء)، ولنقل أنك (القارئ) من عائلة ذات نفوذ وسلطة، وأنك الحاكم في هذه المدينة.

وأنت في عرشك وبين أصدقائك يأتيك الحاجب ويقول لك إن العامة قد قبضوا على غريب اكتشف كنزًا في مدينتنا وأنه يحاول بيعه، فتأمر بإدخاله فترى شابًا في العشرين من العمر يتحدث بلهجة لم تسمعها من قبل، وترى العملة التي معه فتعرفها على الفور فهي شديدة القدم وعُمرها 300 سنة على الأقل، فتسأله عن اسمه وبلده، فيقول لك إنه زيد بن ربيعة من مدينة الرقيم، فتسأله أين يقيم فيقول لك إنه على يمين ساحة دقليانوس، فيبتسم أصدقاؤك وينظر بعضهم إلى بعض فهذه الساحة لم يعد لها وجود. وقد انقسم أصدقاؤك إلى فريقين: أحدهما يقول إن هذا الرجل قد جُن، والآخر يظن أن هذا الرجل يُخادع كي نحسبه مجنونًا.

لكنك (أيها القارئ) شخص ذو فراسة، تعرف نفوس الناس ومعادنها، وتعرف كيف تقرأ الوجوه، وتعرف كيف تكسب الرجال إلى صفك،، وهذه الصفات هي التي جعلتك تنظر إلى الأمور بحكمة وذكاء دون استخفاف أو تضخيم، وهذه الصفات هي التي مكنتك لِحُكم المدينة،، وتنظر إلى زيد فلا تراه شخصًا كاذبًا، ولا تراه فاقدًا عقله، وهنا ينتابك الفضول: فهناك قصة خيالية ولا الأحلام، وهناك شخص يرويها ويظهر عليه الصدق.

وبدأت تُهدئ من روع الرجل وتكسبه إلى صفك، وقد انتبهت أن زيدًا قد صُعِق عندما أخبرته بالتاريخ الحالي وأن هذه العملات عمرها 300 سنة، وأن الوثنية قد انتهت، وأن الناس قد اتبعوا دين المسيح، ولكن زيدًا بعدها تمالك نفسه؛ فقد بدأت الأمور تتضح في ذهنه.

وبعد أن كسبت ثقة زيد بدأ يُخبرك بقصته: كيف هربوا من السلطة، وكيف اختبأوا في الكهف، إلخ. وقد تعجب بعض أصدقائك تمامًا أنك تُصدق زيدًا، ويعتبرك قد جننت، ولكن هذا هو الخلاف بينك وبين كثير من أصدقائك في الحكمة: فأنت في الحقيقة لا تُصدق كلام زيد، ولكنك ترى أن زيدًا صادق، وهناك فرق بين الإثنين: فربما يتعرض شخص للاختلاط والارتباك فيقول قصة ليست صحيحة مع أنه صادق الحديث.

وبعد أن انتهى زيد من قصته، فإن هذه القصة لها قرينة واحدة: وهي أنك (كشخص ذي فراسة) وجدت أنه صادق، وهذه القرينة ليست كافية لاستخراج حكم، فكان من الطبيعي أن تطلب من زيد أن يدلكم على مكان الكهف وأن تذهبوا هناك، حيث تُريد استجواب أصحاب زيد، وإذا تطابقت قصصهم فإنها قرينة أقوى لصدق زيد.

وذهبتم باتجاه الكهف، وقبل الكهف بقليل اقترح زيد أن يسبقكم إلى الكهف حتى يُبشر أصحابه ولا يرتابون، فوجدت أنه اقتراح منطقي ونظرت إلى المكان فوجدت أنه لا مهرب فيه (إن أراده زيد)، فوافقت على ذلك.

وانتظرت ليس ببعيد عن باب الكهف، وانتظرت وانتظرت، حتى قررت الذهاب للكهف لتجد زيدًا وأصحابه قد فارقوا الحياة، فأرسلت في طلب طبيبك الخاص وسألته إن كانوا قد ماتوا انتحارًا بالسم فأخبرك الطبيب أنه لا يوجد أي دليل على أنهم ماتوا بالسم.

ويتعجب أصدقاؤك ومستشاروك من القصة كلها، ويطلب بعضهم اغلاق الكهف ونسيان الأمر، في حين يطلب آخرون أن يتم بناء شاهد لهم للذكرى، وهنا همس رئيس البلدية في أذنك أن بناء كنيسة لهم سيكون مفيدًا جدًّا في تعزيز السياحة في المدينة وخصوصًا أن المدن المنافسة عندها أضرحة للقديسين، ولا يوجد أضرحة للقديسين في الرقيم، وهذه فرصة جيدة أن نبني كنيسة باسم هؤلاء الفتية.

وتقتنع بجدوى الفكرة ولكن عليك الآن تحديد الميزانية المتناسبة مع الهدف (تعزيز السياحة) لعمل هذه الكنيسة.

السيناريو الثاني:

لنفترض أننا في عام 340 ميلادية في مدينة الرقيم (والتي يُسميها الرومان البتراء)، ولنقل أنك (القارئ) من عائلة ذات نفوذ وسلطة، وأنك الحاكم في هذه المدينة.

وأنت في عرشك وبين أصدقائك يأتيك الحاجب ويقول لك إن العامة قد قبضوا على غريب اكتشف كنزًا في مدينتنا وأنه يحاول بيعه، فتأمر بإدخاله، وتُصعق عندما تراه، إذ أنت ترى أخاك زيدًا الذي فُقِدَ قبل 60 سنة،، ولكن مهلًا، لا يمكن أن يكون هذا أخاك، فمن تراه هو في العشرين من العمر، ولو كان أخوك حيًّا لكان عمره الآن 80 سنة، فلا يمكن أن يكون هذا أخاك، ربما يكون ابن أخيك زيد ولكنه لا يمكن أن يكون أخاك.

ولكن ملابس هذا الشاب هي نفسها ملابس أخيك زيد عندما رأيته آخر مرة قبل ستين سنة، بل هذا الخاتم الذي في اصبعه هو الخاتم الذي اعطته اياه أمك قبل ذهابه، وتنظر إلى ابن خالتك الجالس على يمينك فتراه صعقًا مما يراه ولا يكاد ينطق.

وتستجمع هدوءك، وتسأل الشاب عن اسمه وبلده ومكان اقامته، فيقول لك أنه زيد بن ربيعة، من مدينة الرقيم، في البيت الثالث على يمين ساحة دقليانوس. وبعض الحضور يبتسم إذ إن هذه الساحة قد ذهبت وبنيت عليها كنيسة، ولم ينتبه هؤلاء إلى شدة تعجبك وحيرتك أنت وابن خالتك؛ فربيعة هو والدك، ولك أخ اسمه زيد قد فقدته قبل 60 سنة، والبيت الثالث على يمين ساحة دقليانوس كان بيت أبيك،، وتنظر إلى هؤلاء الضاحكين بضيق فينتبهون ويعلمون أن الأمر جد فيسكتون.

فتقوم بهدوء وتسأل الشاب عن أمور لا يعرفها إلا أخوك زيد وأنت، وترى الشاب يتعجب ويسألك: كيف عرفت ذلك؟ ويجيبك على أسئلتك، فلا يبقى عندك شك أن الشخص الذي أمامك هو أخوك البكر والذي لا يزال عمره 20 سنة دون أن يكون عندك أية قدرة على تفسير ذلك.

وبكل هدوء تقول لزيد أنه قد اختفى منذ 60 سنة، وينصعق زيد مما سمعه ثم يستجمع رباطة جأشه بسرعة؛ إذ ما سمعه زيد الآن هو أول تفسير منطقي يسمعه منذ أن دخل المدينة؛ فما أن وطئت قدما زيد هذه المدينة وهو يرى ويسمع أشياء لم يرها ويسمعها قط في حياته: فالأوثان التي كانت منتشرة في الشوارع قد اختفت، واختفت كذلك الملاهي والمنكرات، والناس تسبح لله وحده، ويتحدثون عن حياة المسيح،، ولا يكاد يصدق زيد ما يراه ويسمعه، ولولا أن زيدًا رابط الجأش لظن أنه قد جُن،، فكان أول تفسير منطقي يسمعه لكل هذه الغرابة هو أنه قد نام 60 سنة وخصوصًا أن زيدًا قبل ذهابه إلى المدينة كان في خضم نقاش حامٍ مع أصحابه عن المدة التي ناموا فيها إذ شعر أنه قد نام فترة طويلة.

ولكن صدمة زيد كان شديدة عندما أخبرته أنك أخوه، واحتاج زيد فترة من الوقت حتى استطاع استيعاب ما قيل له، وبعد أن هدأت النفوس، أخبرهم زيد بما حدث له ولأصحابه منذ أن تركوا المدينة قبل 60 سنة، فقررت أنت الذهاب على الفور إلى الكهف، فإن لك أخًا آخر في الكهف واثنين من أبناء عمك.

وقبل الوصول إلى الكهف يستأذنك زيد أن يسبقكم إلى الكهف كي يبشر أصحابه ولا يرتابون، فتأذن له، وتنتظر وتنتظر، وتنتظر حتى قررت الذهاب بنفسك إلى الكهف لتجد الفتية هناك كلهم موتى.

وهنا تسقط على الأرض غير مصدق، وترى زيدًا وأخاك الثاني وأبناء عمك موتى، شعورك كله أسى؛ إذ إنك الآن قد فقدت إخوتك مرتين، مرة قبل 60 سنة، وهذه المرة أمامك،، وتنتبه إلى الكلب، وتتذكر، فقد كنت تلعب معه وأنت صغير، فهو كلب حراستكم، وكان دائمًا معك عندما تذهب إلى الصيد مع أبيك،، وهنا تتساقط الدموع: يا فرحة لم تتم، يا فرحة ماتت سريعًا.

وحولك قومك يُعزونك ويقولون أغلقوا هذا الكهف فالرب أعلم بهم، ولكن بالنسبة لك هيهات هيهات، فهؤلاء ليسوا فقط اخوتك، وإنما اخوتك الذين فقدتهم مرتين، فتقرر من فورك ببناء كنيسة تكون ذكرى لهم، وهذا في الحقيقة ما تُعَزِّي به نفسك وتُصَبِّرها: أنك ستبنى بإسم اخوتك كنيسة ضخمة.

الآن ... ما سبق كان سيناريوهين ممكنين لما حدث مع أهل الكهف، والسؤال هنا ... أي السيناريوهين أكثر تأثيرًا ومدعاة لبناء الكنيسة؟

بالطبع فإن السيناريو الثاني أكبر تأثيرًا من الأول وأعلى دافعية لبناء المعبد.

ولكن السيناريو الثاني بحاجة إلى اثبات أو قرينة يسمح لنا بتبنيه أو النظر إليه بجدية، وهناك قرينة (وليس دليلًا) يرفع من قيمة السيناريو الثاني:

أشهر بناء موجود في البتراء هو خزنة فرعون، وهذه التسمية حديثة، أما اسمه زمن الأنباط فهو معبد العُزَّى (المرجع Browning)،، وأمَّا أضخم بناء في البتراء قاطبة فهو الدير في قمة جبل يحمل نفس الإسم، احداثيات: 30.338055556N 35.430936111E، وهو على مسافة 2.14 كم من المسرح الروماني.

وارتفاع هذا البناء (الدير) هو 50 مترًا وعرضه 45 مترًا، وللمقارنة فإن ارتفاع خزنة فرعون هو 39 مترًا وعرضها 25 مترًا.

وعلى ضخامة الدير فإنه لا يعرف حتى اللحظة من بناه، ولا متى بُني، ولا السبب في بنائه،، وكل الموجود هو تخمينات لا أدلة عليها. والنقطة العجيبة في هذا البناء أنه على ضخامته لا يوجد فيه نقش لتمثال، مما يُقدم تخمينًا جيدًا أن هذا البناء قد تم في العهد المسيحي في البتراء (أي بعد العهد الوثني).

الدير في قمة جبل الدير – البتراء، المرجع: Wiki – JoTB

الآن ... كل ما سبق (السيناريو الثاني ومبنى الدير) لا يضع أي أدلة وإنما هي ملاحظات تُلفت الانتباه وتستوجب التقصي.

والفرضية (والتي هي بلا دليل حتى اللحظة وإنما اعتمادًا على السيناريو الثاني ومبنى الدير) أن الفتية ناموا في الكهف حوالي 40 إلى 60 سنة، وأنهم كانوا من عائلة متنفذة في البتراء، ولذكراهم تم بناء الدير.

والسبب في تحديد المدة بـ 60 سنة هو أنه إذا كانت أكثر من ذلك بكثير فإن الناس الذين شهدوا الفتية سيكونون موتى وبالتالي تفقد الحادثة تأثيرها الأضخم (كما في السيناريو الثاني).

وأما تحديد المدة بـ 40 سنة فإنه إذا كانت أقل من ذلك بكثير فإن القصة نفسها لا تصبح شديدة العجب، فمثلًا في السيناريو الثاني فإن الحاكم كان على وجهه تجاعيد الزمن، ولكنه رآى أخاه الأكبر ناضر الوجه دون تلك التجاعيد، ولكي تحدث هذه العجيبة فيجب أن تكون مدة النوم كبيرة، وهنا كان الاقتراح بـ 40 سنة.

وإذا نظرنا إلى التاريخ الروماني فإن أشد مرحلة كان فيها اضطهاد دموي لأتباع المسيح عليه السلام (بكل طوائفهم) هي فترة حكم الإمبراطور دقليانوس منذ عام 286 ميلادية، واستمر هذا الاضطهاد حتى حَكَمَ قسطنطين عام 313 ميلادية.

وإذا افترضنا أن الفتية ذهبوا إلى الكهف في أول الاضطهاد، واعتمدنا التحليل السابق (أن مدة النوم كانت بين 40 و60 سنة) فإن الاستيقاظ يكون بين 326 و 346 ميلادية.

ولكن ..... إذا افترضنا أن الدير هو البناء الذي تم لذكرى أهل الكهف، فإن هذا البناء قد تمت دراسته باستفاضة ولا يوجد فيه أية قبور، فهل يوجد هنا تناقض؟

لا يوجد تناقض؛ فإذا كان الكهف في مكان وعر التضاريس فغلبة الظن أنهم قاموا بإغلاق الكهف وأقاموا البناء في مكان قريب منه.

وهناك قرينة على ذلك وهي الآية: "وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين" مما يوحي أن الكهف ما زال موجودًا.

2.7 موقع الكهف

وإذا افترضنا أن الدير هو البناء المقصود، فإن غلبة الاحتمالات أن الكهف يقع قريبًا من قمة الجبل في الجزء الشَّمالي الغربي منه، وذلك للتحليلات التالية:

قال تعالى: "وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا".

وانتبه أن الشَّمال (بفتح وتشديد الشين) هي عكس الجنوب، وأما الشِّمال (بكسر وتشديد الشين) فهي اليسار (أي عكس اليمين).

وتزاور في الآية تعني الميل، وذات اليمين تعني جهة اليمين، ومطلع الشمس (كما ذكرنا في الفصل السابق) يكون بعد دقيقتين من الشروق، فيكون المعنى هنا هو: إذا نظرنا إلى مطلع الشمس فإن الشمس تميل عن الكهف من جهة اليمين.

وهنا سؤال .... أي يمين؟ هل هو يمين الناظر (أي الذي يرى الكهف والشمس في مطلعها)؟ أم هو يمين الكهف؟

والسؤال الثاني ... أين هو يمين الكهف؟

ويمين الكهف هو يمينك إذا كان الكهف وراء ظهرك وأنت تنظر إلى الخارج.

وغلبة الظن أن ذات اليمين هي يمين الكهف، مثال ذلك عندما نقول: عندما ترى السيارة ستجد فيها خُدشًا في جهة اليمين، فهل يُفهم من كلمة اليمين هو يمينك عندما ترى السيارة، أم هو يمين السيارة؟

والغالب أن المقصود هو يمين السيارة، وفي الحقيقة فإن وجهة نظر الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) أن ذات اليمين هي يمين الكهف، والظاهر أن الطبري والقرطبي وابن كثير لم يتعرضوا لهذا الأمر. وعلى أية حال فإن التحليل الهندسي التالي سيظهر أنه مستبعد تمامًا أن يكون المقصود هو يمين الناظر.

الآن ..... عندما نقول إن الشمس (في وقت الطلوع) تميل عن الكهف من جهة اليمين (يمين الكهف) فهذا معناه أن هناك زاوية حادة بين الكهف والناظر والشمس، كما في التحليل التالي:

لنفترض وجود جبل وفيه كهف كما في شكل 2.1. وإذا صعدنا إلى الكهف وكان أمامنا ونظرنا إلى الشمس في وقت طلوعها فإن تفسير الآية يكون كما في الشكل 2.2، أي أن الشمس تميل عن يمين الكهف بزاوية حادة، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان الكهف في الجزء الشمالي من الجبل، وكانت جهة اليمين هي يمين الكهف.

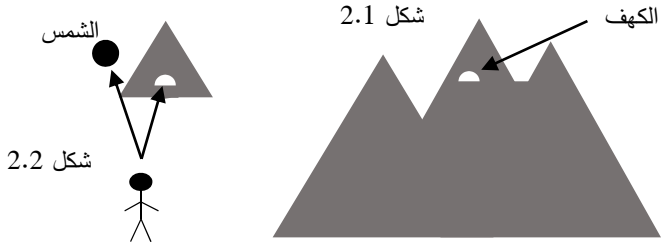

وكذلك فإن هذا يتطلب أن يكون الكهف قريب من القمة؛ حيث لو كان قريب من القاع لما تمكنا من رؤية طلوع الشمس.

ولكن توجد مشكلة ... الشمس تشرق في البتراء في أول الصيف (21 يونيو) بـ 28 درجة من الشرق باتجاه الشمال، وتشرق في أول الشتاء (21 ديسيمبر) بـ 27 درجة من الشرق باتجاه الجنوب.

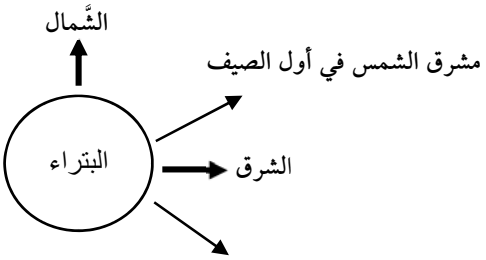

شكل 2.3

وبالتالي فإن الموقع الذي تكون الشمس فيه مائلة في وقت الصيف فإن الشمس لا تصل إليه وقت الشتاء، والمكان الذي تكون فيه الشمس مائلة في وقت الشتاء فإن الشمس تدخله وقت الصيف.

شكل 2.4، المرجع: جوجل إيرث، الدير،البتراء، مطلع الشمس في 21 12 2016 (أول الشتاء).

شكل 2.5، المرجع: جوجل إيرث، الدير،البتراء، مطلع الشمس في 21 6 2016 (أول الصيف).

وهذا لا يتعلق فقط بالبتراء وإنما كل نقطة في الأرض لها مشرقان متباعدان بين الصيف والشتاء، وكلما انتقلنا شمالًا كلما تباعد المشرقان؛ فمثلًا مشرق الشمس في أول الصيف في

قرية الرجيب يكون 28.5 درجة من الشرق شمالًا، ومشرقها في أول الشتاء يكون 27.35 من الشرق جنوبًا.

وضمن هذه الملاحظة فمن الممكن وضع التوفيق التالي:

لقد ذكرنا في الفصل السابق أن المكان الذي وصل إليه ذو القرنين في الغرب هو في آخر اليابسة على خط العرض الذي كانت الشمس عامودية عليه وقت نزول تلك الآية (خط عرض 23.6128 شمالًا).

وغلبة الظن أن آيات أهل الكهف وآيات ذي القرنين قد نزلتا في نفس اليوم؛ حيث كلتاهما يتعلقان بتحدي قريش، وعندها يُمكن القول إن ميل الشمس عن الكهف في آية "وترى الشمس" يكون خاصًا في يوم نزول الآيات، أي يكون تفسير الآية: وترى الشمس وقت طلوعها اليوم (أي يوم نزول الآية). وهذا التفسير يعالج مشكلة الاختلاف بين زاوية الشروق في فصل الشتاء وفصل الصيف.

وعند عمل الحسابات فإن زاوية الشروق والغروب في جبل الدير في أول الصيف عام 613 ميلادية قريبة جدًّا للزاوية الحالية.

وزاوية الشروق كما ذكرنا في ذلك اليوم هي 28 درجة من الشرق باتجاه الشمال، وزاوية الغروب هي 28 درجة من الغرب باتجاه الشمال.

وفي شكل 2.6 وضعنا دائرة لتمثل المحيط الذي فيه الكهف، والزاوية a هي زاوية شروق الشمس في منتصف الصيف (28 درجة). ووضعنا شعاع الشمس مماسًا على المحيط، فيكون أول موقع للكهف كي تظهر الشمس مائلة (إلى الجهة اليمنى من الكهف) هي بَعْد النقطة أ (بعكس عقارب الساعة)، والنقطة أ تقع على زاوية b من الشَّمال باتجاه الغرب.

ومن حساب المثلثات فإن الزاوية b تساوي a، أي أن أول موقع للكهف في المحيط يجب أن تكون على زاوية 28 درجة من الشمال باتجاه الغرب.

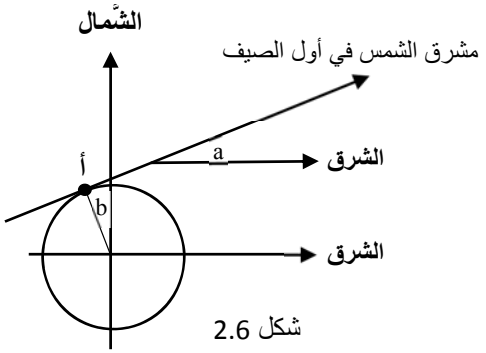

شكل 2.6

وأما آخر موقع للكهف في المحيط كي تظهر الشمس مائلة من الجهة اليمنى هي في النقطة ب (شكل 2.7)، وهي على زاوية c من الشمال باتجاه الغرب، وهذه الزاوية تساوي 90 + 28 وتساوي 118 درجة. أي أن موقع الكهف يتراوح بين 28 و118 درجة من شمال الجبل باتجاه الغرب.

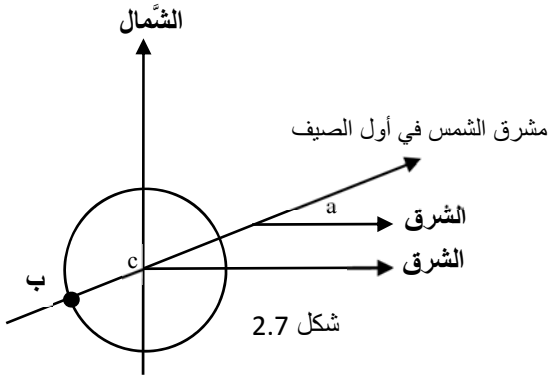

شكل 2.7

كان ذلك غلبة الظن لتفسير الجزء الأول من الآية: "وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ".

وبالنسبة للجزء الثاني فهو يتعلق بتحديد معنى القَرْض:"وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ":

وفي المعاجم اللغوية فإن القرض أصله القطع، فيقال: قرض الفأر الخبز أي قطعه، وقرض الثوب أي قصه، والمقراض هو المقص، وقرض الشعر هو تنظيمه، وأصله تقطيع الكلام وترتيبه لعمل الشعر (المرجع تاج العروس)، والقرض في المال هو ما تُعطيه دينًا [وكأن أصله أن تقطع جزءًا من مالك وتقدمه للآخر].

وكذلك فإن القرض في المسير يعني أن تعدل عنه؛ "يقول الرجل لصاحبه: هل مررت بمكان كذا وكذا؟ فيقول المسؤول: قرَضْتُه ذاتَ اليَمينِ ليلاً، وقرَضَ المكانَ يَقْرِضُه قرْضاً: عدَل عنه وتَنَكَّبَه" (لسان العرب).

والمعنى السابق هو المُتَبَنَّى في التفاسير المختلفة، وهي أن الشمس تعدل عنهم من الجهة اليسرى.

ولكن وجهة نظر المؤلف أن التفسير السابق ليس دقيقًا؛ إذ لو كان معنى الآية أن الشمس تميل إلى اليسار فإن كلمة "يقرض" و"تزاور" يصبح لها نفس المعنى في آية واحدة، وهذا مستبعد.

وكذلك لو كان معنى الآية أن الشمس تشرق وتغرب في مكان غير مكانها الطبيعي فإن هذا يتضمن معجزتين: أولها أن الشمس تشرق وتغرب في غير مكانها، وثانيها أن الناس لم تنتبه لهذا الأمر مدة طويلة من الزمن،، وهذا مستبعد لعدم وجود نص صريح لذلك. وأما قوله تعالى: "ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ" فليس من الضروري أن يكون متعلقًا بشروق الشمس وغروبها وإنما بقصة أهل الكهف برمتها.

وهناك رأي وجده المؤلف في تفسير الألوسي: " قال أبو علي: معنى تقرضهم تعطيهم من ضوئها شيئًا ثم تزول سريعًا وتستد ضوءها فهو كالقرض يسترده صاحبه، وحاصل الجملتين عنده أن الشمس تميل بالغدو عن كهفهم وتصيبهم بالعشيء إصابة خفيفة ".

ومع أن هذا الرأي قد ضَعَّفَه الألوسي إلّا أن هذا الرأي ينسجم مع الأصل في كلمة "قرض" كما أنه يمكن تطبيقه هندسيًا، وهذا ما يغلب على ظن المؤلف: أن الشمس تظهر جزئيًا في وقت الغروب داخل الكهف من الجهة اليسرى.

وهذا يُمكن توضيحه بالأشكال التالية:

في شكل 2.8 وضعنا الدائرة لتمثل المحيط الذي فيه الكهف، والزاوية d هي زاوية غروب الشمس في أول الصيف (28 درجة). ووضعنا شعاع الشمس مماسًا على المحيط، فيكون أول موقع للكهف كي تظهر الشمس داخل الكهف وقت الغروب (من الجهة اليسري للكهف) هي بَعْدَ النقطة ج (وبعكس عقارب الساعة). والنقطة ج تقع على زاوية e من الشمال باتجاه الشرق، ومن حساب المثلثات فإن الزاوية e تساوي d وتساوي 28 درجة.

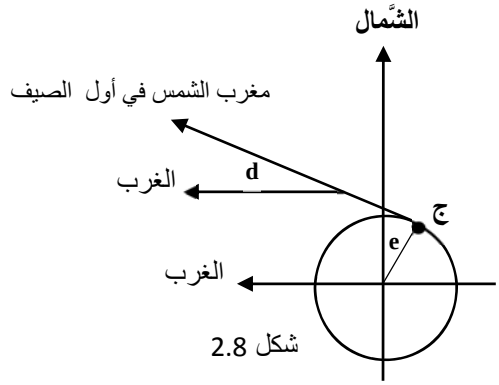

شكل 2.8

وأما آخر موقع للكهف في المحيط كي تظهر الشمس داخله وقت الغروب من الجهة اليسري فهو في النقطة د (شكل 2.9)، وهي على زاوية f من الشمال باتجاه الغرب، وهذه الزاوية تساوي 90 ناقص 28 وتساوي 62 درجة. أي أن موقع الكهف يتراوح بين النقطة "ج" و "د".

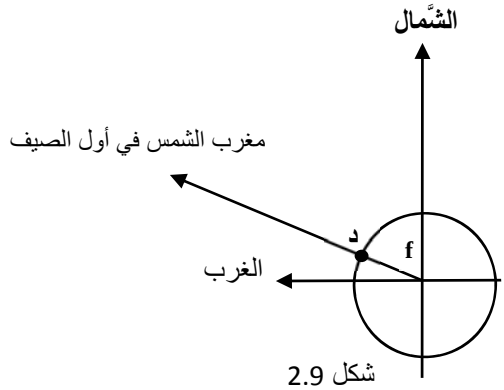

شكل 2.9

وبأخذ كل الزوايا بالحسبان فإن موقع الكهف يكون بين النقطة "أ" و "د" (شكل 2.10)، أي بين الزاوية 28 و62 درجة من الشمال باتجاه الغرب.

ونستطيع اختيار النقطة الوسط بينهما (النقطة هـ في شكل 2.11)، وهي على زاوية 45 درجة من الشمال تجاه الغرب مع مجال خطأ مقداره 17 درجة بالزائد أو النقصان.

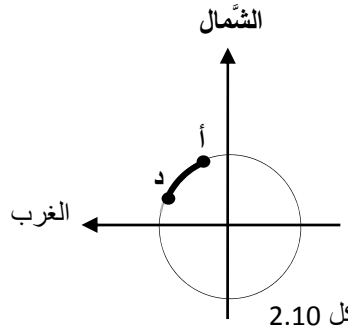

شكل 2.10

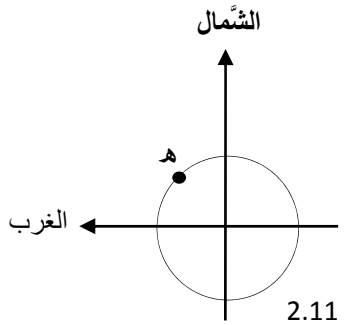

شكل 2.11

الآن ... لنفترض أن المقصود بذات اليمين هي يمين الناظر (الذي يرى الكهف ويرى الشمس وقت طلوعها)، فعندها يكون السؤال: هل هو يمين الناظر عندما ينظر إلى الكهف، أم يمينه عندما ينظر إلى الشمس؟

بمعنى آخر فإن جهة اليمين تختلف باختلاف اتجاه الرؤية أو بِتَغير موقع الناظر، على عكس يمين الكهف حيث لا يتغير هذا الاتجاه بِتَغير موقع الناظر.

على أية حال، إذا افترضنا أن المقصود بذات اليمين هي يمين الناظر فإن النظرة المنطقية تقول إن الجهة المقصودة هي يمين الناظر عندما ينظر إلى الشمس (لقوله تعالى: وترى الشمس).

وإذا نظرنا إلى هذا الاحتمال واستخدمنا نفس الطريقة السابقة في حساب ميل الشمس من يمين الناظر فسنجد أن الكهف يقع في الجزء الجنوبي من الجبل بين النقطة "ز" و "ب" (شكل 2.12). ولكن إذا نظرنا إلى الشمس وقت الغروب فإنها لا تدخل الكهف (بين نقطتي ز، ب) من جهة اليسرى للناظر وإنما من الجهة اليمنى للناظر، ولا يمكن أن تدخل الشمس (في غروبها) من الجهة اليسرى للناظر إلا إذا كان الكهف في الجزء الشمالي من الجبل؛ أي أنه في الجزء الشمالي من الجبل فإن الشمس تدخل إلى الكهف من يسار الكهف، وكذلك تدخل إلى الكهف من يسار الناظر إذا كان ينظر إلى الشمس.

ولهذا السبب فإن الكهف يجب أن يكون في الجزء الشمالي من الجبل، وأن ذات اليمين هي الجهة اليمنى للكهف.

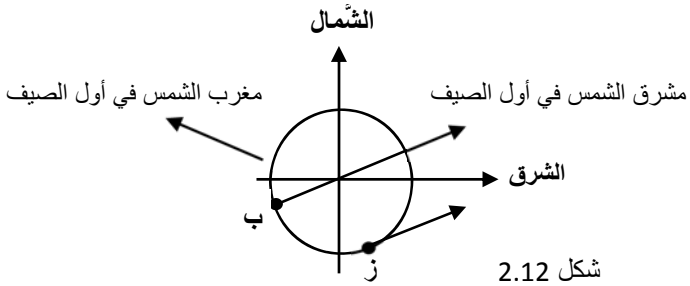

شكل 2.12

وهنا نأتي للملاحظة التي ذكرناها سابقًا وهي أن الكهف الموجود في قرية الرجيب يقع في جنوب الجبل وليس في شمالها، مما يجعل المؤلف يستبعد الرجيب كموقع لأهل الكهف.

ولمنع الالتباس، فمن المناسب رسم حركة الشمس في جبل الدير (في البتراء) في أول الصيف كما في شكل 2.13، ولنضع حركة الشمس في 21-6-2016:

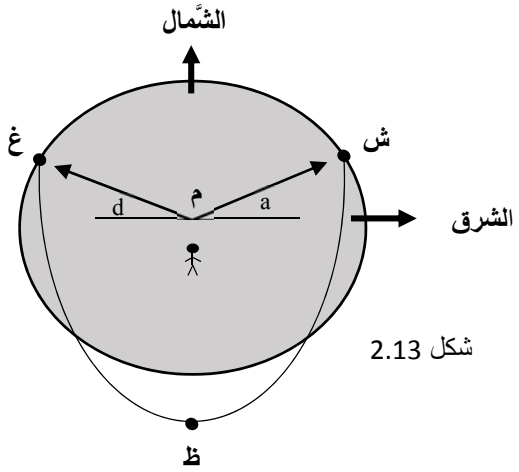

شكل 2.13

ولنفترض أن الدائرة الظاهرة حول الشخص في شكل 2.13 هي حدود الأفق، وبالتالي بعد تلك الحدود فهو لا يرى إلا الفضاء، ولنفترض أن الشخص واقف على قمة جبل الدير في البتراء، وعندها ستشرق الشمس الساعة 2:36 صباحًا بتوقيت جرينتش من النقطة ش (على زاوية 28 درجة من الشرق شمالًا)،، ثم تبدأ الشمس الصعود باتجاه الجنوب وبشكل قوس حتى تصل إلى أعلى ارتفاع لها في النقطة ظ، وهذا يكون وقت صلاة الظهر الساعة 9:40

بتوقيت جرينيتش، وتكون الشمس ذلك الوقت مرتفعة عن الأفق بزاوية 83 درجة، وعندما تنظر إلى الشمس وهي في هذه النقطة فأنت تنظر باتجاه الجنوب تمامًا،، ثم بعدها تبدأ الشمس النزول وبشكل قوسي باتجاه الغرب الشمالي حتى تغرب في النقطة غ (على زاوية 28 درجة من الغرب شمالًا).

وفي هذا اليوم فإننا كلما ارتفعنا شمالًا كلما اقتربت النقطة "ش" من "غ" حتى تتلاقى النقطتان في شمال أوروبا وعندها يصبح اليوم هناك بلا ليل.

وهنا توجد نقطة انتباه مهمة .... المسافة بين ش والشخص (أي المسافة بين "ش" و "م") هي حوالي 5 كيلومتر.

كيف ذلك؟

عندما تدخل إلى البحر مسافة كيلومترات قليلة (حوالي خمسة كيلومترات) فإن الشاطئ سيختفي ولا ترى سوى الماء والفضاء، لماذا؟

لأن الأرض كروية وما نستطيع أن نراه هو حدود الأفق، وهذا يتحدد بدائرة نصف قطرها حوالي 5 كم (شكل 2.14)؛ فإذا اعتبرنا أن ارتفاع الرؤية (ع) للشخص عن الأفق هي 1.8 متر فإنه بمعادلة فيثاغورس وبتقريب جيد فإن المسافة (ف) بين النظر والنقطة ش تتحدد بالمعادلة التالية:

ف = 3.57 × جذر(ع)
حيث ع تكون بالمتر، و ف تكون بالكيلومتر.
بوضع المعطيات فإن ف تساوي 4.8 كيلومترًا.

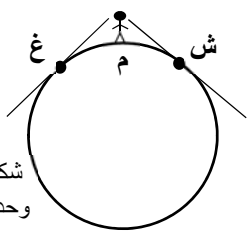

شكل 2.14 - الكرة الأرضية وحدود الأفق للشخص.

وانتبه هنا ..... ع هي الارتفاع عن الأفق وليس الارتفاع عن سطح البحر، بمعنى أنه لو كان الشخص واقفًا على هضبة ممتدة فإن ع هنا هو الارتفاع عن مستوى الهضبة، وأما إذا كنا واقفين على سطح بناية على الهضبة، فإن ع يكون ارتفاع هذه البناية عن الهضبة. وإذا كنا على قمة جبل، وكان حولنا جبال كثيرة فإن ع هنا يكون ارتفاع مستوى نظرنا عن مستوى القمة.

الآن ... في الفصل السابق ذكرنا أن مغرب الشمس بالنسبة لمكة هو المكان الذي تغرب فيه الشمس، واعتبرنا أن هذا المكان هو الذي يكون في وقت الزوال عند غروب الشمس عن مكة. ولكن في شكل 2.14 نقول إن الشمس تغرب في نقطة قريبة (النقطة غ على مسافة 5 كم من الشخص)، فهل يوجد هنا تناقض؟

لا يوجد تناقض؛ لأن عبارة "تغرب الشمس في كذا" هي مجازية، ونحن نحدد معنى المجاز من السِّياق،، وعندما كنا نبحث عن مفهوم "مغرب الشمس" في آيات ذي القرنين فقد كنا نعلم أن المسافة بين مشرق ومغرب الشمس كبيرة، وهناك آية قرآنية توضح ذلك: "حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ" (الزخرف – 38) وقد شرحناها في آخر الفصل السابق.

وأما في شكل 2.14 فإن هذا مجاز آخر: فأول ضوء للشمس يظهر من النقطة ش، وآخر ضوء للشمس يختفي في النقطة غ، فنقول مجازًا أن الشمس تشرق من ش وتغرب في غ.

وهناك مجاز آخر نستخدم فيه العبارات السابقة: فنحن نقول إن الشمس تشرق في مكة الساعة كذا وتغرب فيها الساعة كذا.

فعبارة "تغرب الشمس في كذا" هي مجاز يتحدد معناه من السياق.

الآن ... غلبة الظن أننا لن نرى باب الكهف بسهولة؛ إذ إن نوم فتية في كهف على بعد مسافة قليلة من المدينة دون أن ينتبه الناس لذلك يتطلب التخمين أن الكهف في منطقة وعرة وليست مسلوكة، وبالتالي لا تصلح لعمل بناء هناك.

وإذا كان ما سبق صحيحًا فهذا معناه أن البناء كان على مقربة من الكهف، وأما الكهف نفسه فإن التخمين المنطقي يتطلب أنه قد تم اغلاقه بشكل كامل. وبسبب ظروف التعرية المناخية خلال السنوات التالية فإنه من الصعب الآن تمييز الكهف المغلق عن باقي الجبل.

وإذا كانت التحليلات السابقة لها درجة عالية من الاحتمالية فإن البحث عن الكهف في جبل الدير هو أمر يستحق العناء.

2.8- لام العاقبة في "لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ"

قال الله تعالي: "وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ"، فهل سبب إيقاظهم من النوم هو فقط كي يتساءلوا بينهم؟

اللام الموجودة في "ليتساءلوا" ليست لام التعليل وإنما لام الصيرورة، وتُسمى كذلك لام العاقبة (راجع القرطبي). وأفضل مثال لهذه اللَّام هو قول الله تعالى: " فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا" (القصص – 8)، فاللَّام في "ليكون" هي لام العاقبة، وهذه اللَّام تربط الأحداث بالترتيب، فيكون معنى الآية: بعثناهم وتساءلوا بينهم.

ومثلها الآية: "ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا".

2.9- "وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ"

فجوة في الاستعمال الدارج تعني ثغرة أو فتحة، وربما هذا الذي يَظنه الشخص عندما يرى الكهف في قرية الرَّجيب؛ حيث توجد هناك فتحة (ثغرة) في أعلى الكهف وتدخل منها الشمس،، وهذه المعنى صحيح، إلَّا أن لـ "فجوة" معنًى آخر: ففجوة الدار تعني ساحته، والمراجع المختلفة قد فسرت الفجوة في الآية أنها المتسع في الكهف، أي ساحة الكهف الداخلية.

2.10- "وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ"

على غلبة المراجع فإن الوصيد تعني الباب (أي باب الكهف) أو الفناء (ساحة الكهف الخارجية). ولكن من المستبعد أن يكون الكلب كان طوال الوقت خارج الكهف، واعتمادًا على ذلك نستطيع وضع التخمين التالي لشكل الكهف: أنه يبدأ من فتحة صغيرة (باب الكهف)، ثم ممر (الوصيد)، ثم منطقة متسعة قليلًا (الفجوة).

2.11- لماذا الفرار والرعب؟

تقول الآية: "وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا"، فما هو الأمر المرعب لمجموعة نيام ومعهم كلب ونحسبهم أيقاظًا؟

الأمر غير واضح تمامًا عند المؤلف لكن أفضل تفسير قرأه المؤلف هو أن الخوف يأتي من الكلب، وإذا اعتمدنا هذا الاحتمال فإنه يتطلب الاستنتاج أن الكلب كان من النوع الشرس المستخدم في الحراسة.

ولكن هنا تساؤل ... الآية تقول:"لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا"، فالفرار والرعب جاء من المجموعة وليس فقط من الكلب، فهل يوجد هنا تعارض؟

لا يوجد تعارض، فضمن وجهة نظر المؤلف فإنه أكثر لباقة أن نقول: "إن زيدًا خاف الجماعة" من أن نقول: "إن زيدًا خاف الكلب في الجماعة".

2.12- الرُسل لا تخاف

ولكن ..... إذا كان التفسير السابق صحيحًا فإن هناك رجال يواجهون الأسود ولا يخافون، فكيف يخاف الرسول عليه السلام مجموعة نيام؟

وهذا سؤال مهم ... فالرُسل لا تخاف؛ فقد قال تعالى لموسى: " وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ" (النمل – 10)، وموسى عليه السلام كان معذورًا؛ إذ لم يكن قد كُلِّف بالرسالة بعد،، ورسول الله عليه السلام كان مطمئنًّا حتى في أحلك المواقف؛ فقد قال تعالى: " إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (التوبة – 40).

وهنا نأتي لنقطة تعارض ظاهري ... فما حله؟

والحل سهل ... فالمخاطب في هذه الآيات هو الرسول عليه السلام، ولكن المقصود هم وفد قريش، وقد ذكرنا سابقًا السبب في "توجيب" وفد قريش فيما يتعلق بقصة ذي القرنين، وإهمالهم فيما يتعلق بقصة أهل الكهف.

وهناك قرينة تؤيد ما سبق؛ فالآية تقول: "أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا"، ومستبعد أن يكون الرسول عليه السلام نفسه قد تعجب من قصة نيام في كهف، وهو الذي رآى الآيات الكبرى، وإنما غلبة الظن أن وفد قريش قد تعجبوا عندما سمعوا عن فتية استغرقوا في النوم سنوات طويلة.

وهذا قد يُفسر سبب قيام الوفد بتشويه قصة أهل الكهف ولم يفعلوا ذلك لقصة ذي القرنين، فقد كان انتباههم لقصة أهل الكهف أعلى بسبب تعجبهم منها.

ولكن هنا سؤال ... تقول الآية: "قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا"، فهل المخاطب هنا هو الرسول عليه السلام أم الوفد؟ وهل يوجد تعارض؟

لا تعارض، فهذه الآيات فيها طلب، ولهذا فإن المقصود فيها هو الرسول عليه السلام، ولكن الآيات التي قبلها كانت عَرْضًا للقصة، والمقصود في هذا العرض هو وفد قريش، وقد ذكرنا القرينة على ذلك وهي استبعاد أن يكون الرسول قد تعجب من أهل الكهف وخصوصًا أن الرسول عليه السلام لم يعلم بأمرهم إلا بعد نزول هذه الآيات، ولهذا السبب فإن غلبة الظن أن المقصود في الآيات الأولى هو وفد قريش.

وبالتالي فإن الخوف والرعب ليس مقصودًا به الرسول عليه السلام، وإنما المقصود هم وفد قريش (النضر وعقبة وأصحابهما)، ويكون معنى الآية: لو اطلعتم عليهم لوليتم منهم فرارًا ولملئتم منهم رعبًا،، فالمخاطب هو الرسول والمقصود هم الوفد.

2.13- عدد الفتية في الكهف

ذكرنا سابقًا أن العدد سبعة (للفتية) قد جاء من علم لكنه (على غلبة الظن) عدد غير صحيح، ويمكننا استنتاج العدد (وبدرجة ظن جيدة) بناءً على التحليل التالي:

لنفترض أننا جماعة وعددنا سبعة ومعنا كلب صيد، وأننا خيمنا في الجبل على مسافة من المدينة، ولنقل أن المسافة تستغرق 30 دقيقة نزولًا إلي المدينة، و45 دقيقة صعودًا إلى المخيم. ولنفترض أنه جاءنا الجوع وتكاسلنا عن الطبخ واشتهينا طعامًا جاهزًا، فقررنا إرسال أحدنا (وليكن اسمه زيدًا) إلى المدينة مشيًا (إذ إننا لم نحضر معنا السيارة) كي يأتينا بالطعام.

ما الذي سنطلبه في هذه الحالة؟

ربما سيطلب كل واحد مِنَّا سندويشة شاورما، وسندويشة فلافل، وربما بعضنا سيطلب سندويشة ثالثة ولتكن حمص،، وكذلك سيطلب كل واحد منا علبة عصير وماء، وربما يقوم زيد باحضار قطعة لحم للكلب.

إذن سيقوم زيد باحضار 18 سندويشة، وقطعة من اللحم، و7 علب عصير، وأربع ليتر ماء،، وسيقوم زيد بحمل هذه الأغراض وحده ويصعد بها الجبل مدة 45 دقيقة. فهل هذا العمل منطقي؟

غلبة الظن أنه ليس منطقيًا؛ فالأمر المنطقي في هذه الحالة هو أن يذهب اثنان لإحضار الطعام، فالطعام المطلوب لسبعة كثير على شخص واحد يحمله ويصعد به الجبل. وكذلك الحال للطعام المطلوب لستة وخمسة، فهو كثير على شخص واحد يحمله ويصعد به الجبل.

والمثال السابق يتعلق بنقل الطعام في الحاضر، ولكن النقل في الماضي كان أشق؛ إذ إن التكنولوجيا المتعلقة بتعليب الطعام والشراب متقدمة جدًّا الآن عن الماضي. وانتبه هنا أن الفتية لم يطلبوا أي طعام وإنما طلبوا طعامًا طيبًا.

وعلى هذا التحليل فإن غلبة تخمين المؤلف أن أهل الكهف كانوا ثلاثة أو أربعة ومعهم الكلب.

2.14- قصة أهل الكهف

من الممكن الآن جمع العناوين السابقة لعمل الصورة المجملة لقصة أهل الكهف ضمن غلبة الاحتمالات:

- كان هناك فتية مؤمنون (عددهم ثلاثة أو أربعة) من عائلة متنفذة حاكمة في مدينة الرقيم (البتراء حاليًا) في فترة الاضطهاد الديني في عهد دقليانوس عام 286 ميلادية.
- وعندما طُلِبت هذه المجموعة للمساءلة، فإن الفتية قرروا الاختباء في الكهف كسبًا للوقت حتى يقرروا ما يفعلون. والدليل على ذلك أن الفتية لم يأخذوا معهم مؤونة كافية، وبالتالي فإن اللجوء للكهف كان هدفًا مؤقتًا.
- والظاهر أن الكهف نفسه (مع قربه من المدينة) لم يكن معلومًا للعامة، وأن هذا الكهف كان في منطقة وعرة غير مسلوكة.
- والشكل الممكن للكهف أن بابه كان فتحة صغيرة، يليه ممر قصير (الوصيد) ثم يتسع الكهف قليلًا في الداخل (الفجوة). وموقعه في الجهة الشمالية الغربية من جبل الدير، وعلى مسافة ساعة (أو أقل) من مركز المدينة.
- ونام هؤلاء الفتية 50 سنة (تزيد أو تنقص قليلًا)، واستيقظوا في عام 336 ميلادية (تزيد أو تنقص قليلًا).
- وذهب أحدهم ليحضر الطعام ولكن تم الامساك به، وحدثت معه قصة شبيهة للسيناريو الثاني المذكور في الباب 2.6.
- وقررت الجهة المتنفذة في المدينة إغلاق الكهف، وبناء كنيسة لهم قريبة من الكهف، وهذه الكنيسة هي الدير.
- وحدث زلزال ضخم جدًّا في مدينة الرقيم في عام 363 ميلادية، وتسبب بانهيار نصف المدينة حسب شهادة سيريل (Cyril) مطران القدس (المرجع: Browning)، وأدى هذا إلى أول هجرة جماعية من المدينة. وربما أدى هذا اندثار قصة أهل الكهف من ذاكرة التاريخ.
- وبقيت مجموعة صغيرة في الرقيم ولكنها كانت تتناقص حتى عام 500 ميلادية، وبعدها غابت هذه المدينة عن صفحات الجغرافيا والتاريخ حتى أواخر القرن التاسع عشر.

الفصل الثالث – يأجوج ومأجوج

ذُكِرت يأجوج ومأجوج في موضعين في القرآن:

- في سورة الكهف:"قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94).
- وفي سورة الأنبياء: حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (96).

ويأجوج ومأجوج لهما قراءتان في القرآن: الأولى كما في الرسم العثماني (أي يأْجوج ومأْجوج)، والثانية: ياجوج وماجوج (بوصل الألف). وقد رجَّح الطبري القراءة الثانية على الأولى.

3.1- يأجوج ومأجوج في الكتب الأخرى

ويوجد ذِكران وحيدان لاسم قريب من يأجوج ومأجوج قبل الإسلام:

فيوجد في سفر حزقيال (Ezekiel - 38) نبوءة عن ملك اسمه جوج (Gog) من أرض ماجوج (Magog) حاكم ممالك شمال الأناضول (Meshech and Tubal)، أنه سيتحالف مع فارس (Persia) وأثيوبيا (Cush) وليبيا (Libya) ومملكة وسط الأناضول (Gomer) وممالك القوقاز (Beth Togarmah)، وكلهم تحت إمرة جوج، وسيهجمون راكبين الخيل على إسرائيل من الشمال، ولكن الرب من غضبه عليهم سَيُحدث هزة أرضية ضخمة في أرض إسرائيل يرتعش لها كل البشر، وتندك الجبال، وسيعاقبهم الرب بالوباء والدم وسيمطر عليهم مطرًا جارفًا وحجارة بَرَدٍ عظيمة ونارًا وكبريتًا (حسب نص النبوءة).

والنص الثاني وهي نبوءة ليوحنا بن زبدي (أحد قديسي النصرانية) والذين دَوَّنها في حوالي 70 ميلادية، وفيه تم وصف جوج وماجوج أنهما شعبان مختلفان:

"ثم متى تمت الألف السنة يحل الشيطان من سجنه. ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج وماجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلًا إلى أبد الآبدين" [الرؤيا 20 : 7].

الآن ... كلا الوصفين من الغيب؛ إذ إنَّ حزقيال ويوحنا لم يكونا مؤرخين يكتبان شهادتيهما وإنما كانا يُدونان نبوءة لهما.

وكلاهما ليسا نَبيَّين عندنا؛ إذ إن حزقيال هو نبي عند بني إسرائيل ولكنه لا يوجد عندنا نص شرعي بذلك، وبالتالي لا نستطيع أن ننكر ولا نستطيع أن نقر، وكذلك لا نستطيع أن نتحقق من أن كتابه (سفر حزقيال) كان منه؛ أي أنه ضمن قواعد الجرح والتعديل الذي نتبعها في التحقق من الروايات المنسوبة إلى الرسول عليه السلام فإن سفر حزقيال ليس مُعتمدًا عندنا حتى ولو كان حزقيال نبيًّا؛ إذ لا يوجد دليل على ثبوت هذا الكتاب من عند حزقيال.

وأما يوحنا بن زبدي فهو ليس نبيًّا عندنا نحن المسلمين، وبالتالي فإن نبوءتيهما (حزقيال ويوحنا) ليستا حجة لنا نحن المسلمين.

بالإضافة إلى ذلك فإنه على كثرة النصوص التاريخية التي تركتها الحضارات القديمة في سومر وأكاد وأشور وفارس ومصر وكنعان واليونان والرومان فإنه لا يوجد أي نص يذكر أرضًا اسمها ماجوج.

وكذلك فإن نبوءة حزقيال قد انتهى وقتها؛ فهي تتحدث عن جيوش تركب الخيل، ونحن الآن قد انتقلنا إلى عهد انتهى فيه استخدام الخيل في الحروب وإنما تُستخدم الآن الدبابات والطائرات والصواريخ.

وهذا الموضوع سنبحثه لاحقًا مرة أخرى وذلك في تحقيقنا للروايات المنسوبة إلى الرسول عليه السلام؛ إذ في بعضها خلل في السند وهي كذلك تخالف الواقع المحسوس.

ومن الواضح وجود تشابه كبير في اللفظ بين "يأجوج ومأجوج" وبين "جوج وماجوج" عند حزقيال ويوحنا، ولكن الأولى اعتبار ذلك صدفة حتى تأتي قرينة تدل على أن "يأجوج ومأجوج" في القرآن هما نفسهما "جوج وماجوج" في حزقيال.

3.2- يأجوج ومأجوج، هل هما اسمان أم اسم واحد من كلمتين؟

العرب في طبيعتهم لا يُسَمُّون الشيء باسمين معطوفين وإنما باسم واحد، فمثلًا سكان المدينة المنورة (يثرب) قبل الإسلام كان يسكنها قبيلتان هما الأوس والخزرج، ولكن العرب عندما يريدون أن يذكروا أهل يثرب فهم لا يقولون: هؤلاء هم الأوس والخزرج، وإنما يقولون:

هؤلاء هم الخزرج، فاسم أهل يثرب عند العرب هو الخزرج، ولكن أهل يثرب عندما يتمايزون بين بعضهم البعض يقولون الأوس والخزرج.

وهنا نقطة الانتباه ..... لقد وصف أصحاب ذي القرنين هؤلاء البشر بـ "يأجوج ومأجوج"، أي كلمتان لتسمية شيء.

وهنا توجد الاحتمالات التالية:

الأول: أن يكون يأجوج ومأجوج هما من عرق واحد وقرية واحدة، ولكن هذا هو الوصف الذي استخدمه أصحاب ذي القرنين وجاء القرآن ونقل حرفية وصفهم.

وهذا الاحتمال مستبعد؛ حيث إن القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، والعرب عندما يذكرون قصة فإنما يذكرون معناها وليس بالضروري حرفيتها، وانتبه هنا للفرق بين ذكر القصة وبين نقل الخبر: فالخبر يُنقل بحرفيته وأما القصة فبمعناها.

والقرآن عندما يذكر قصة فإنه يَذكر مُجملها ومعناها وليس بالضروري حرفيتها، ودليل ذلك هو قول الله تعالى:"وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ" (الأعراف – 122)، وقوله تعالى: "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ" (طه – 70)، فالقصة هي نفسها ولكن هناك اختلاف: ففي الآية الأولى ذكروا موسى قبل هارون، وفي الثانية ذكروا هارون قبل موسى، وحيث إن القصص تُذكر بمعناها فإن النصين السابقين قد ذكرا القصة نفسها، والاختلاف هنا مشروع ضمن الأعراف العربية المتعلقة بقول القصص.

وعليه فإن وصف المفسدين بـ يأجوج ومأجوج لم يكن وصفا من أصحاب ذي القرنين، وإنما هو كذلك وصف من القرآن الكريم يوافق الطريقة العربية في الوصف.

والاحتمال الثاني هو أن يأجوج ومأجوج هما من عرقين مختلفين، لكنهما متحالفان في الغزو والفساد.

والاحتمال الثالث وهو أن يأجوج ومأجوج هما من عرق واحد ولكن يأجوج هو اسم قرية، ومأجوج هو اسم قرية أخرى مجاورة،، ويوجد فيهما مجموعتان متحالفتان مفسدتان تقطعان الطريق وتُغيران على القرى المجاورة.

والاحتمال الثالث هو الاحتمال الذي يميل إليه المؤلف؛ حيث إن الاحتمال الأول مستبعد، والاحتمال الثالث أبسط بكثير من الاحتمال الثاني. كما أن الاحتمال الثالث أقرب إلى الاستنتاجات التي تم وضعها في الفصل الأول والتي تفيد أن يأجوج ومأجوج وقت ذي القرنين لم يكونوا جيشًا محترفًا وإنما قطاع طرق.

ولكن توجد هنا مشكلة ... هناك روايات منسوبة إلى الرسول عليه السلام يمكن أن يُستنتج منها أن يأجوج ومأجوج هم أمة كثيرة العدد وقت الإسلام، فكيف يكون يأجوج ومأجوج شرذمة قليلة وقت ذي القرنين ثم يُصبحون أمة كثيرة العدد؟

لقد ذكرنا سابقًا أن العرب تسمي الكل بالجزء، وتسمي الجزء بالكل، وتَغلب اسمًا على اسم،، ولهذا السبب فإن غلبة ظن المؤلف أنه من الممكن أخذ اسم يأجوج ومأجوج، وهو اسم لقريتين متجاورتين من عرق واحد (حسب الاحتمال الثالث)، وتعميم هذا الاسم ليعبر عن العرق نفسه. أي أن هناك جزءًا (وهو يُمَثل قريتين اسمهما يأجوج ومأجوج)، وهناك الكل (وهو العرق الذي ينتمي إليه أهل القريتين)، وتم التعبير عن الكل (العرق) بالجزء (يأجوج ومأجوج).

وفي هذه الحالة فإن اسم العرق هو "يأجوج ومأجوج" كاملًا؛ أي أننا لا نقول: شعوب يأجوج ومأجوج، ولا نقول: أمم يأجوج ومأجوج، وإنما نقول: شعب يأجوج ومأجوج، وأمة يأجوج ومأجوج.

وأفضل مثال لذلك هو الشاعر الجاهلي ثابت بن جابر: فقد سألوا عنه فأخبرتهم زوجته أنه "تأبط شرًا وخرج"، أي أخذ سيفه تحت إبطه وخرج،، فأخذها الناس اِسمًا لثابت، فأصبح اسمه المشهور هو: تأبط شرًا، فنقول: جاء تأبط شرًا، وقال تأبط شرًا، وخرج تأبط شرًا. أي أن الجملة الفعلية أصبحت اسم ذلك الرجل.

وكذلك الحال مع يأجوج ومأجوج إذ يمكن استخدامه كـ اسم كامل لشعب أو أمة.

3.3- من هم يأجوج ومأجوج؟

توجد الآن مشكلة في التحليلات السابقة:

هناك روايات منسوبة إلى الرسول عليه السلام يمكن أن يُستنتج منها أن المغول (الذين احتلوا بغداد ودمشق في القرن الثالث عشر الميلادي) هم يأجوج ومأجوج. وإذا كان كذلك

فكيف يمكن أن يكون يأجوج ومأجوج وقت ذي القرنين في شمال القوقاز، ثم يُصبحون جيشًا ضخمًا في الشرق الأقصى؟

وهنا يجب علينا دراسة تاريخ المنطقة في القوقاز في حوالي 360 ميلادية (وهو التاريخ المقترح لوجود ذي القرنين):

في حوالي 91 ميلادية هاجرت قبائل من وسط آسيا إلى شرق أوروبا وشمال القوقاز، وهؤلاء هم الهُون (Hun)، وقد ظهر فيهم قائد محنك (أتيلا – Attila) في عام 434 ميلادية، واستطاع أخذ البلقان من الرومان، بل وتهديد العاصمتين الرومانيتين: القسطنطينية وروما، وكان يُخطط لغزو إيطاليا إلا أن الموت عاجله، وبعد وفاته تشققت دولته وانهارت.

وقبل أتيلا حدثت مناوشات بين الرومان والهون، فقد كان الهون شعب يستمتع بالحرب، ويعيش على الغزوات. وأول ذكر للهون في المصادر الرومانية كان في عام 375 ميلادية عندما هاجرت مجموعات كثيرة من القوط (Goths) إلى الأمبراطورية الرومانية هربًا من الهون (المرجع: Wiki-Hun عن Thompson).

والوصف المذكور لأتيلا أنه كان قصير القامة، عريض الصدر، كبير الرأس، صغير العينين، رقيق اللحية، مسطح الأنف، أسمر البشرة:

Short of stature, with a broad chest and a large head; his eyes were small, his beard thin and sprinkled with grey; and he had a flat nose .and tanned skin

(المرجع: Wiki–Attila عن Jordanes).

وهذا الوصف قريب جدًا من أوصاف المغول العامة، وبالتالي نستطيع هنا وضع فرضية أن المغول وصلوا في ترحالهم إلى شمال القوقاز وتأسست لهم قريتان (يأجوج ومأجوج)، وكانا يغيران على جيرانهما، وقام ذو القرنين بعمل الردم ليحجز بين أصحابه وبين يأجوج ومأجوج.

ومن الممكن تسمية العرق الذي ينتمي إليه يأجوج ومأجوج (المغول) بذلك الاسم (أي تسمية الكل بالجزء)، وبالتالي لا يوجد مشكلة (من حيث المبدأ) من أن يكون المغول هم يأجوج ومأجوج، مع أن الردم موجود في شمال القوقاز.

إنما المشكلة الحقيقية هي التحقق من الروايات المختلفة المنسوبة إلى الرسول عليه السلام؛ إذ دخلت على قصة يأجوج ومأجوج الكثير من الأباطيل؛ والسبب واضح: فهناك تشابه كبير في التسمية بين يأجوج ومأجوج في القرآن وبين جوج وماجوج في كتب اليهود، وهذا التشابه فتح الباب لدخول الكثير من الإسرائيليات، وعندها اختلطت القصص بعضها ببعض.

ولهذا السبب فإن علينا أن نبدأ تحليلنا لأصل يأجوج ومأجوج من أثبت النصوص، ثم ننتقل إلى النصوص التالية لها:

الآن ... لقد تم ذكر يأجوج ومأجوج في القرآن في موضعين: الأول في آيات ذي القرنين، والثاني في سورة الأنبياء: "وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (93) فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94) وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (95) حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97)".

والحدب هو كل مرتفع من الأرض كالتلال الصغيرة، أو أي موضع يكون أكثر ارتفاعًا مما حوله،، والنسل له معنيان: فهو إما الخروج، أو حركة المشي السريعة.

وهناك تفسيران في المراجع للآية 96 (في سورة الأنبياء) يعتمدان على تحديد الضمير "هم":

والتفسير الأول يقول إن "هم" تعود ليأجوج ومأجوج، وأنهم سينسلون من كل حدب.

والتفسير الثاني وهو أن "هم" تعود للبشر عمومًا، أو بشكل أدق تعود للبشر في الآية 93، وأن هذا الأمر يتعلق بآخر الزمان عندما يُحشر الناس إلى بلاد الشام.

والتفسير الثاني قريب من مفهوم الآيات في سورة الكهف: "قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (الكهف – 100):

أي أن ردم ذي القرنين سَيُدَكُّ دكًّا عندما يأتي وعد الله، وعندها يموج الناس بعضهم ببعض، ويُنفخ في الصور، ويُجمع الناس.

والدَّك غير الهدم، ولا نقول عن البناء الذي هُدِمَ أنه قد دك، وإنما الدك يكون بتحويل الصخور إلى فتات،، وانتبه أن دك الجبال هو إحدى علامات يوم القيامة:

11. "كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا" (الفجر – 21).
12. "وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً" (الحاقة - 14).

وضمن هذا التفسير فإن الأحاديث المتعلقة بخروج يأجوج ومأجوج (أي عندما يُحاربنا يأجوج ومأجوج) ليس لها علاقة بالآيات السابقة، وليس لها علاقة بدك الردم.

وهناك حديث عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: "لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ , مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ"، قَالَ: وَحَلَّقَ بِأُصْبُعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَالِحونَ؟ قَالَ: " نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ" رواه البخاري.

وهذا الحديث هو أثبت الأحاديث المتعلقة بيأجوج ومأجوج (كما سنبين لاحقًا)؛ حيث إنه حديث عزيز (تمت رواية معناه من مجموعتين مستقلتين من الرواة)، وسنسمي هذا الحديث بحديث الردم.

وهذا الحديث لا يُفهم منه (بالضرورة) أن فتح الردم له علاقة بخروج يأجوج ومأجوج، أي أنه من الممكن أن يكون المعنى المقصود هو الويل الذي سيأتي في بدايات الحشر، أي أن هذا الحديث يُمكن اعتباره منسجمًا (في المعني) مع الآيات السابقة.

وهناك حديث آخر عن الرسول أنه قال عن الساعة "إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ " رواه مسلم.

وهذا ثاني أثبت الأحاديث المتعلقة بيأجوج ومأجوج (مع ملاحظة في السند سنوضحها لاحقًا)، وسنسمي هذا الحديث بحديث الدخان.

ومن الظاهر أن المقصود بيأجوج ومأجوج هو خروجهم أو الحرب بيننا وبينهم، ولا يوجد في النص ما يفيد (ضرورة) أن خروج يأجوج ومأجوج له علاقة بفتح الردم.

وهنا نقدم **الاحتمال الأول** في موضوع يأجوج ومأجوج وهو أنهم المغول الذين خرجوا من بلادهم وحاربوا المسلمين في القرن الثالث عشر الميلادي، وأنهم من نفس العرق الذي استقر في منطقة القوقاز في 91 ميلادية (كما شرحنا سابقًا)، وأن خروجهم ينسجم مع حديث الدخان في الحديث السابق، وأن هذا الخروج ليس له علاقة بفتح الردم.

ولكن لنفترض جدلًا أن فهمنا للآيات السابقة لم يكن دقيقًا، وأنه توجد علاقة بين انهيار الردم وبين خروج يأجوج ومأجوج، فكيف نستطيع وضع سيناريو تاريخي ينسجم مع ما سبق.

وإذا افترضنا أن حديث الردم يتعلق بخروج يأجوج ومأجوج فإنه من الواضح أن العرب لم يتعرضوا لمهلكة أشد مما حدث لهم مع المغول؛ فإن هجمة المغول ضربت أعمدة الحضارة الاسلامية في الصميم.

الآن ... ضمن الظاهر في تفسير آيات ذي القرنين فإن مكان الردم هو في القوقاز، في حين أن هجمة المغول على المسلمين كانت من الشرق، فهل يمكن وضع تفسير لذلك؟

نستطيع وضع **الاحتمال الثاني** وهو أن انهيار الردم مرتبط زمانيًا وليس مكانيًا بخروج يأجوج ومأجوج. مثال ذلك هي آيات يوم القيامة، فآياتها مرتبطة بذلك اليوم زمانيًا فقط؛ بمعنى أن طلوع الشمس من مغربها ليس هو السبب في حدوث يوم القيامة وإنما هذا الطلوع هو إشارة على قرب حدوث ذلك اليوم.

وكذلك في موضوع الردم، فانهياره هو إشارة على قرب خروج يأجوج ومأجوج. وهذا ليس مستبعدًا فمنطقة القوقاز هي منطقة صدع بسبب تلاقي صفيحة الجزيرة العربية (Arabian plate) مع صفيحة أسيا-أروربا (Eurasian plate)، وهذا التلاقي والضغط (Tectonic collision) هو السبب في ظهور سلاسل الجبال الضخمة في القوقاز، ولهذا السبب فإن هذه المنطقة معرضة للزلازل. وآخر زلزال ضخم في المنطقة كان في جورجيا عام 1991 (7 ريختر)، وكذلك في عام 1905 في جورجيا (7.5 ريختر).

وبالطبع لا يوجد عند المؤلف علم إن حدث زلزال في منطقة القوقاز وقت خروج المغول من بلادهم إلى بلاد المسلمين، ولكن هذا يبقى ضمن قائمة الاحتمالات.

ونستطيع وضع **الاحتمال الثالث** وهو أن انهيار الردم قد تم بعمل من يأجوج ومأجوج، وهنا نستطيع سرد الأحداث التاريخية التالية والتي تشكل كل واحدة منها احتمالًا جزئيًا مُمكنًا:

الاحتمال 3.1:

عندما هاجم جنكيزخان الدولة الخوارزمية (في السابع هجري – القرن الثالث عشر ميلادي) وانتصر عليها فإن ملك خوارزم (علاء الدين) نجا إلى بحر قزوين، فأرسل جنكيزخان جيشًا (20 ألف محارب) يقوده اثنان من أقدر القيادات عنده وهما سابوتاي (Subutai) وجيبي نويان (Jebe Noyan)، وأخذوا في مطاردة علاء الدين، إلا أن علاء الدين قد توفى قبل وصولهما.

وهنا قرر القائدان الالتفاف حول بحر قزوين، وهذه حملة عسكرية عجيبة بكل المقاييس، فلم يكن هناك قائد واحد للجيش وإنما قائدان لهما نفس السلطة، وكان الانسجام بينهما وتعاونهما كبيرًا جدًّا، وقد استطاعا الانتصار على جميع من واجهوهم (عدة ممالك وعدة معارك ضخمة وعدد كبير من المدن) بجيشهم الصغير،، وكان أن قاموا بغزوة سريعة على جورجيا، ثم تجاوزوا سلسلة القوقاز الكبرى (من جهة أذربيجان) باتجاه جنوب روسيا، ثم ذهبوا إلى جزيرة القرم، ثم دخلوا أوكرانيا وحدثت هناك معركة ضخمة (معركة نهر الكالكا عام 1223 ميلادية – Kalka River)، وانتصروا فيها وكانوا قريبين من العاصمة كييف، ثم انتقلوا إلى جنوب روسيا، ثم رجعوا إلى منغوليا. وهذه الحملة لم يكن فيها هدف عسكري رئيسي إلا أنها كانت سياحة "وشمة هوا" لسابوتاي وجيبي.

وهنا من الممكن أن الجيش المغولي أثناء وجودهم ومرورهم خلال جبال القوقاز قد مَرُّوا على ردم ذي القرنين وقاموا بهدمه.

الاحتمال 3.2:

بعد 12 سنة من معركة نهر الكالكا قام باتو (Batu)، حفيد جنكيزخان من ابنه جوجي، بقيادة جيش كبير لأخذ أروربا، وكان معهم سابوتاي مستشارًا عامًا للجيش، وقد احتلوا كامل أوروبا الشرقية، بما فيها القوقاز.

وهنا من الممكن أن المغول عندما احتلوا القوقاز قد مَرُّوا على ردم ذي القرنين وقاموا بهدمه.

الاحتمال 3.3:

حكم هولاكو إيران، وهولاكو هو حفيد جنكيزخان من ابنه تولوي. وقام هلاكو باحتلال وتدمير بغداد عام 1258 ميلادية (656 هجرية)، وهذا أغضب حاكمًا مغوليًا آخر كان يحكم أوروبا الشرقية:

وصل الحكم في أوروبا الشرقية إلى شخص اسمه بركة خان (Berke Khan) ، وهو حفيد جنكيزخان من ابنه جوجي، وهو أخو باتو، وقد أصبح حاكمًا لأوروبا الشرقية عام 1255 ميلادية، وكان بركة خان مسلمًا، وكان شديد الغضب لما فعله هولاكو ببغداد، فكان هدفه الأساسي هو محاربة هولاكو، وكانت بينهم معارك كثيرة،، وهذه المعارك هي التي منعت هولاكو من التقدم والانتقام من مصر بعد معركة عين جالوت.

وكانت بين بركة وهولاكو معركة طاحنة في جورجيا عام 1263 ميلادية، وانتصر فيها بركة خان، وخسر فيها هولاكو جُلَّ جيشه، وعلى إثرها ذَهَبَ حلم هولاكو باحتلال العالم الإسلامي، ومات هولاكو بعد تلك المعركة بعامين.

وهنا من الممكن أن نضع الاحتمال أن جيش بركة خان (وهم من المغول) عندما تجاوزوا القوقاز، لملاقاة هولاكو، قد مروا على ردم ذي القرنين وقاموا بهدمه.

وانتبه أن هذا الاحتمال مستبعد جدًّا لأن المعركة بين بركة وهولاكو كانت خيرًا للمسلمين، ولكن فَضَّلنا وضع هذا الاحتمال لأنه يتعلق بمسيرات عملها المغول خلال جبال القوقاز.

الاحتمال 3.4:

قامت روسيا الإمبراطورية باحتلال كافة مناطق القوقاز، وقامت حرب مقاومة عنيفة بين الشركس (القوقازيين المسلمين) وبين الروس عام 1817 ميلادية، ولكن الروس قد انتصروا في النهاية عام 1864.

الآن ... الروس ليسوا مغولًا، ولكن يبقى الاحتمال واردًا أن الروس هم المقصودون بـ يأجوج ومأجوج، وهنا يمكن إضافة احتمال للقائمة أن الروس أثناء حربهم في القوقاز قد مروا على ردم ذي القرنين وقاموا بهدمه.

وبالتالي هناك ثلاث احتمالات تم نقاشها:

- الاحتمال الأول: أن هدم الردم ليس له علاقة بخروج يأجوج ومأجوج، وإنما هدم الردم متعلق بيوم الحشر والقيامة.
- الاحتمال الثاني: أن هدم الردم متعلق زمانيًا بخروج يأجوج ومأجوج، أي أن يأجوج ومأجوج لم يقوموا بهدم الردم، وإنما تم هدم الردم جراء الزلازل، ولكن هدمه كان إشارة زمانية باقتراب موعد خروج يأجوج ومأجوج.
- الاحتمال الثالث: أن يأجوج ومأجوج هم من هدموا الردم، وقد وضعنا أربعة احتمالات جزئية لهذا الاحتمال.

وهناك **احتمال رابع** وهو أن يأجوج ومأجوج لم يخرجوا بعد. وهذا الاحتمال يستبعده المؤلف؛ حيث إن الحديث الذي يربط بين يأجوج ومأجوج وعيسى عليه السلام فيه مشكلة في السند، وسنناقش ذلك لاحقًا.

وغلبة ظن المؤلف هو للاحتمال الأول يليه الاحتمال 3.1.

3.4- الأحاديث المتعلقة بيأجوج ومأجوج

الآن ... المؤلف وجد الأحاديث التالية والمتعلقة بيأجوج ومأجوج، وهي مروية في كتب مختلفة (البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم) ولكن بنفس مجموعة الرواة، وهنا سنضع التحقيقات المتعلقة برواة هذه الأحاديث وكذلك بعض الملاحظات المتعلقة بمتنها.

وانتبه أن بعض محققي الأحاديث يقومون بوضع هذه الاختصارات في الرواية:

"ثنا" تعني حدثنا، "نا" و "أنا" تعني أنبأنا، "برنا" تعني أخبرنا، "قثنا" تعني "قال حدثنا".

1- حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير: أن زينب بنت أبي سلمة حدثته، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش رضي الله عنهن: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه). وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش :فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم، إذا كثر الخبث) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد. واللفظ للبخاري.

وهذا أثبت الأحاديث المتعلقة بيأجوج ومأجوج؛ فرواته ثقات، وله رواية أخرى من رواة مختلفين:

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ ، حَدَّثَنَا ابْنُ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " فَتَحَ اللَّهُ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذَا وَعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ " . رواه البخاري ومسلم وأحمد، واللفظ للبخاري.
##

2- حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ ، قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا ، وقَالَ الْآخَرَانِ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ، قَالَ : اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ ، فَقَالَ : " مَا تَذَاكَرُونَ ؟ " ، قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ ، قَالَ : " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ " رواه مسلم وأبو داود وأحمد، واللفظ لمسلم.

أبي الطفيل (عامر بن واثلة الليثي):

- المغيرة بن مقسم الضبي: أنكر الرواية عنه.
- ابن حزم الأندلسي: ضعفه.
- ولكنه عند الآخرين ثقة وقد قال فيه ابن حجر العسقلاني: صحابي، ومرة: صحابي أخطأ من تكلم فيه.

######################

3- أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ ، عَنْ يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ حَمْزَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَلْقَمَةَ نَصْرُ بْنُ عَلْقَمَةَ ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيِّ ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ ، قَالَ : بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ الْخَيْلَ قَدْ سُبِيتْ ، وَوُضِعَ السِّلاحُ ، وَزَعَمَ أَقْوَامٌ أَنْ لا قِتَالَ ، وَأَنْ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كَذَبُوا ، الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ ، وَإِنَّهُ لا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ

خَالَفَهُمْ ، يَزِيغُ اللَّهُ قُلُوبَ قَوْمٍ يَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ ، يُقَاتِلُونَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، وَلا تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا حَتَّى يَخْرُجَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ " رواه النسائي.

هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ:

- أبو حاتم الرازي: لما كبر تغير فكل ما دفع إليه قرأه، وكلما لقن تلقن، وكان قديما أصح، كان يقرأ من كتابه، ومرة: صدوق.
- أحمد بن حنبل: طياش خفيف.
- ابن حجر العسقلاني: صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح.
- معن بن عيسى القزاز: آفته أنه ربما لقن أحاديث فتلقنها.
- وقد وثقه آخرون مثل أحمد بن صالح الجيلي.

أَبُو عَلْقَمَةَ نَضْرُ بْنُ عَلْقَمَةَ:

- ابن حجر العسقلاني: مقبول
- دحيم الدمشقي: الغالب على رواياته أنه يروي ما ليس بمحفوظ، وينفرد عن الثقات بمناكير، هو بين الضعف، وقد أجمعوا على ضعفه.
- وقد وثقه آخرون مثل الذهبي

##########

4- حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ , حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ , حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ , عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ , حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ , عَنْ أَبِيهِ , أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ , يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ , وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ " . رواه ابن ماجه.

هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ:

- أبو حاتم الرازي: لما كبر تغير فكل ما دفع إليه قرأه، وكلما لقن تلقن، وكان قديما أصح، كان يقرأ من كتابه، ومرة: صدوق.
- أحمد بن حنبل: طياش خفيف.
- ابن حجر العسقلاني: صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح.
- معن بن عيسى القزاز: آفته أنه ربما لقن أحاديث فتلقنها.

- وقد وثقه آخرون مثل أحمد بن صالح الجيلي.

يحيى بن جابر الطائي:

- ابن حجر العسقلاني: ثقة أرسل كثيرا.

عبد الرحمن بن جبير الحضرمي:

- محمد بن سعد كاتب الواقدي: ثقة وبعض الناس يستنكر حديثه.
- وهناك آخرون يوثقونه مثل ابن حجر العسقلاني والذهبي.

وانتبه في هذه الرواية أن وقتها قد انتهى، حيث لم تعد التروس هي أداة المعركة في الحروب، ولهذا السبب فهناك مشكلة في السند في هذه الرواية، وملاحظة في المتن. وهذا ما يجعل غلبة ظن المؤلف أن هذا الحديث مردود، أي أن هذه الرواية لم يقلها الرسول عليه السلام، وإنما جاءت إلى الكتب عن طريق الخطأ والنسيان.
##########################

5- حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ ,حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ ,حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ,حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ ,حَدَّثَنِي أَبِي ,أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ , يَقُولُ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ , فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ , حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ , فَلَمَّا رُحْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا , فَقَالَ " : مَا شَأْنُكُمْ ؟ " , فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ , ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ , فَخَفَضْتَ فِيهِ ثُمَّ رَفَعْتَ , حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ , قَالَ " : غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ , إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ , وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ , وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ , إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ , عَيْنُهُ قَائِمَةٌ , كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ , فَمَنْ رَآهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ,إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ ,وَالْعِرَاقِ ,فَعَاثَ يَمِينًا , وَعَاثَ شِمَالًا , يَا عِبَادَ اللَّهِ , اثْبُتُوا " , قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ , وَمَا لُبْثُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : " أَرْبَعُونَ يَوْمًا , يَوْمٌ كَسَنَةٍ , وَيَوْمٌ

كَشَهْرٍ , وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ , وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ " , قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ , فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ تَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : " فَاقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ " , قَالَ : قُلْنَا : فَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : " كَالْغَيْثِ اشْتَدَّ بِهِ الرِّيحُ , "قَالَ : " فَيَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ , وَيُؤْمِنُونَ بِهِ , فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ , وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ , وَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى , وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا , وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ , ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ , فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ , فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ مَا بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ , ثُمَّ يَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ , فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكِ , فَيَنْطَلِقُ , فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ , ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا , فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ , ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ , فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ,فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ , وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ , إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ , وَإِذَا رَفَعَهُ يَنْحَدِرُ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ , وَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ أَنْ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ , إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ , فَيَنْطَلِقُ حَتَّى يُدْرِكَهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ , ثُمَّ يَأْتِي نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى قَوْمًا قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ , فَيَمْسَحُ وُجُوهَهُمْ , وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ , فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ , إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا عِيسَى ,إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ , وَأَحْرِزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ,وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ , وَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ : مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ سورة الأنبياء آية 96 ,فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ ,فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا , ثُمَّ يَمُرُّ آخِرُهُمْ , فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ فِي هَذَا مَاءٌ مَرَّةً , وَيَحْصُرُ نَبِيُّ اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ , فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ , فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ , فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ , وَيَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ , فَلَا يَجِدُونَ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا قَدْ مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ , وَنَتْنُهُمْ , وَدِمَاؤُهُمْ , فَيَرْغَبُونَ إِلَى اللَّهِ , فَيُرْسِلُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ , فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ , ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَطَرًا لَا يُكِنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ , وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُهُ , حَتَّى يَتْرُكَهُ كَالزَّلَقَةِ , ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ , وَرُدِّي بَرَكَتَكِ , فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعُهُمْ , وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا , وَيُبَارِكُ اللَّهُ فِي الرِّسْلِ , حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ تَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ , وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ تَكْفِي الْقَبِيلَةَ , وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ تَكْفِي الْفَخِذَ , فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا طَيِّبَةً , فَتَأْخُذُ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُسْلِمٍ , وَيَبْقَى سَائِرُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ كَمَا تَتَهَارَجُ الْحُمُرُ , , فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ. " رواه ابن ماجه والترمذي وأحمد، واللفظ لابن ماجه.

هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ:

- أبو حاتم الرازي: لما كبر تغير فكل ما دفع إليه قرأه، وكلما لقن تلقن، وكان قديما أصح، كان يقرأ من كتابه، ومرة: صدوق.
- أحمد بن حنبل: طياش خفيف.
- ابن حجر العسقلاني: صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح.
- معن بن عيسى القزاز: آفته أنه ربما لقن أحاديث فتلقنها.
- وقد وثقه آخرون مثل أحمد بن صالح الجيلي.

يحيى بن جابر الطائي:

- ابن حجر العسقلاني: ثقة أرسل كثيرا.

عبد الرحمن بن جبير الحضرمي:

- محمد بن سعد كاتب الواقدي: ثقة وبعض الناس يستنكر حديثه.
- وهناك آخرون يوثقونه مثل ابن حجر العسقلاني والذهبي.

وانتبه أن هناك ملاحظة في متن الرواية: فعبارة عباد لله لا تنطبق إلا على مسلمين مؤمنين:

- فهناك عباد وهم كل من يعبد بغض النظر كانت عبادته صحيحة أو خاطئة، وبغض النظر كان يعبد الله أو غير الله. ويدخل هي هذه العبارة المسلمون والنصارى واليهود والمجوس والهندوس، إلخ.
- وهناك عباد الله، وهم كل من يعبد الله بغض النظر كانت عبادتهم صحيحة أو خاطئة. ويدخل في هذه العبارة المسلمون والنصارى واليهود.
- وهناك عباد لله، أي تخصيص العبادة لله، وهذه لا يدخلها إلا المسلمون الذين خصصوا عبادتهم لله وحده.

##########################

6- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ حَدَّثَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ حَدَّثَنِي جَبَلَةُ بْنُ سُحَيْمٍ عَنْ مُؤْثِرِ بْنِ عَفَازَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ " : لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ ,وَمُوسَى ,وَعِيسَى فَتَذَاكَرُوا السَّاعَةَ , فَبَدَءُوا بِإِبْرَاهِيمَ فَسَأَلُوهُ عَنْهَا , فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ , ثُمَّ سَأَلُوا مُوسَى ,فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ , فَرُدَّ الْحَدِيثُ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ,فَقَالَ : قَدْ عُهِدَ إِلَيَّ فِيمَا دُونَ وَجْبَتِهَا , فَأَمَّا وَجْبَتُهَا فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ , فَذَكَرَ خُرُوجَ الدَّجَّالِ , قَالَ : فَأَنْزِلُ فَأَقْتُلُهُ , فَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ , وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ , فَلَا يَمُرُّونَ بِمَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ , وَلَا بِشَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدُوهُ , فَيَجْأَرُونَ إِلَيَّ فَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُمِيتَهُمْ فَتَنْتُنُ الْأَرْضُ مِنْ رِيحِهِمْ , فَيَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ , فَأَدْعُو اللَّهَ , فَيُرْسِلُ السَّمَاءَ بِالْمَاءِ فَيَحْمِلُهُمْ فَيُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ , ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ , وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ , فَعُهِدَ إِلَيَّ مَتَى كَانَ ذَلِكَ كَانَتِ السَّاعَةُ مِنَ النَّاسِ , كَالْحَامِلِ الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادَتِهَا", قَالَ الْعَوَّامُ : وَوُجِدَ تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ سورة الأنبياء آية 96 ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. رواه ابن ماجه.

محمد بن بشار:

- الجميع يوثقونه إلا يحيى بن معين، وعمرو بن علي الفلاس وعبيد الله بن عمر القواريري. وأما الذهبي فيقول: أرجو أن لا يكون به بأس، وأما ابن حجر فيوثقه.

مؤثر بن عفازة:

- ابن حجر العسقلاني: مقبول.
- وقد وثقه أحمد بن صالح الجيلي والذهبي.

##########################

7- حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا هشيم أنبأنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى قال: فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى إبراهيم فقال: لا علم لي بها فردوا الأمر الى موسى فقال: لا علم لي بها فردوا الأمر الى عيسى فقال: أما وجبتها فلا يعلمها أحد إلا الله ذلك وفيما عهد إلي ربي عز وجل أن الدجال خارج قال: ومعي قضيبان فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال: فيهلكه الله حتى إن الحجر والشجر ليقول: يا مسلم إن تحتي كافرا فتعال فاقتله

قال: فيهلكهم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم قال: فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤن بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه ثم يرجع الناس الي فيشكونهم فأدعو الله عليهم فيهلكهم الله ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم قال: فينزل الله عز وجل المطر فتجرف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر قال أبي: ذهب علي ههنا شيء لم أفهمه كأديم وقال يزيد يعني ابن هارون: ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم ثم رجع الى حديث هشيم قال: ففيم عهد إلي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهارا. رواه أحمد.

هشيم (ابن بشير):

- ابن حجر العسقلاني: ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي، وقال مرة: أحد الأئمة متفق على توثيقه إلا أنه كان مشهورا بالتدليس واحتج به الأئمة كلهم، وقال في اللسان: حافظ، ومرة ذكره في طبقات المدلسين وقال: مشهور بالتدليس مع ثقته.
- محمد بن سعد كاتب الواقدي: ثقة، كثير الحديث، ثبت، يدلس كثيرا، فما قال في حديثه أخبرنا فهو حجة، وما لم يقل فيه أخبرنا فليس بشيء.
- خليل بن أيبك الصفدي: أحد الأعلام، كان من كبار المدلسين مع حفظه وصدقه.
- وقد وثقه آخرون مثل أحمد بن حنبل.

مؤثر بن عفازة:

- ابن حجر العسقلاني: مقبول.
- وقد وثقه أحمد بن صالح الجيلي والذهبي.

##########################

8- حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : " يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ ، قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ، قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا

وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ ، قَالَ : " أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا ، فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا ، فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا ، فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ " رواه البخاري ومسلم وأحمد، واللفظ للبخاري.

الأعمش:

- أحمد بن حنبل: رجل أهل الكوفة، ومرة: في حديث الأعمش اضطراب كثير.
- ابن حجر العسقلاني: ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلس، وذكره فيمن يحتمل تدليسه لإمامته، ومرة : أحد الأعلام الحفاظ والقراء.
- الحسين بن علي الكرابيسي: محدث الكوفة وقارؤها وكان يدلس.
- الذهبي: الحافظ أحد الأعلام، يدلس وربما دلس عن ضعيف ولا يدري به فمتى قال حدثنا فلا كلام ومتى قال عن تطرق اليه احتمال التدليس الا في شيوخ له أكثر عنهم كإبراهيم وأبي وائل وأبي صالح السمان فان روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال، ومرة: محدث الكوفة وعالمها، ومرة: ك
- وقد وثقه آخرون كثر.

##########

9- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ ، عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ حَجَّاجٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُتْبَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ " , تَابَعَهُ أَبَانُ ، وَعِمْرَانُ ، عَنْ قَتَادَةَ ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : عَنْ شُعْبَةَ ، قال : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ " ، سَمِعَ قَتَادَةُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ أَبَا سَعِيدٍ . رواه البخاري وأحمد، واللفظ للبخاري.

قتادة (بن دعامة السدوسي):

- ابن حجر العسقلاني: ثقة ثبت، وفي مقدمة الفتح: ربما، وذكره في الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين، وهي التي لا يقبل حديث أصحابها إلا إذا صرحوا بالسماع، وقال مرة: أحد الأثبات المشهورين كان يضرب به المثل في الحفظ إلا أنه كان ربما دلس، احتج به الجماعة.
- الذهبي: عده من المدلسين في منظومته فيهم.
- وقد وثقه آخرون مثل: الدارقطني.

##########

10- أنا أَبُو دَاوُدَ ، نا سَهْلُ بْنُ حَمَّادٍ , نا شُعْبَةُ ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ ، عَنِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ يَأْجُوجَ , وَمَأْجُوجَ لَهُمْ نِسَاءٌ يُجَامِعُونَ مَا شَاءُوا ، وَشَجَرٌ يُلَقِّحُونَ مَا شَاءُوا ، فَلا يَمُوتُ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا " . رواه النسائي.

سهل بن حماد:

- أبو أحمد بن عدي الجرجاني: ليس بالمعروف.
- حيى بن معين: لا أخبر أمره، ومرة: ما أعرفه.
- وقد اعتمده آخرون منهم أحمد بن حنبل إذ قال فيه: لا بأس به.

##########

11- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ , حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ , عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاق , حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ , عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ , عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ , أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " تُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فَيَخْرُجُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ سورة الأنبياء آية 96 فَيَعُمُّونَ الْأَرْضَ , وَيَنْحَازُ مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ , حَتَّى تَصِيرَ بَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ , وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ , حَتَّى أَنَّهُمْ لَيَمُرُّونَ بِالنَّهَرِ فَيَشْرَبُونَهُ , حَتَّى مَا يَذَرُونَ فِيهِ شَيْئًا , فَيَمُرُّ آخِرُهُمْ عَلَى أَثَرِهِمْ , فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ : لَقَدْ كَانَ بِهَذَا الْمَكَانِ مَرَّةً مَاءٌ , وَيَظْهَرُونَ عَلَى الْأَرْضِ , فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ , وَلَنُنَازِلَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَهُزُّ حَرْبَتَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بِالدَّمِ , فَيَقُولُونَ : قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ , فَبَيْنَمَا

هُمْ كَذَلِكَ , إِذْ بَعَثَ اللَّهُ دَوَابَّ كَنَغَفِ الْجَرَادِ , فَتَأْخُذُ بِأَعْنَاقِهِمْ فَيَمُوتُونَ مَوْتَ الْجَرَادِ , يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا , فَيُصْبِحُ الْمُسْلِمُونَ لَا يَسْمَعُونَ لَهُمْ حِسًّا , فَيَقُولُونَ : مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ وَيَنْظُرُ مَا فَعَلُوا , فَيَنْزِلُ مِنْهُمْ رَجُلٌ قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَقْتُلُوهُ , فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى فَيُنَادِيهِمْ أَلَا أَبْشِرُوا فَقَدْ هَلَكَ عَدُوُّكُمْ , فَيَخْرُجُ النَّاسُ , وَيَخْلُونَ سَبِيلَ مَوَاشِيهِمْ فَمَا يَكُونُ لَهُمْ رَعْيٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ , فَتَشْكَرُ عَلَيْهَا كَأَحْسَنِ مَا شَكِرَتْ مِنْ نَبَاتٍ أَصَابَتْهُ قَطُّ " . رواه ابن ماجه وأحمد، واللفظ لابن ماجه.

محمد بن اسحاق:

- أبو حاتم الرازي: ليس عندي في الحديث بالقوي ضعيف الحديث وهو أحب إلى من أفلح بن سعيد يكتب حديثه.
- أحمد بن شعيب النسائي: ليس بالقوي.
- الدارقطني: اختلف الأئمة فيه، وأعرفهم به مالك، وليس بحجة، إنما يعتبر به، ومرة: لا يحتج به.
- وقد وثقه آخرون مثل: أحمد بن صالح الجيلي.

##########

12- حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد يعني ابن عمرو حدثنا خالد بن عمرو عن ابن حرملة عن خالته قالت: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب فقال: إنكم تقولون لا عدو وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون شهب الشعاف من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة. رواه أحمد.

محمد بن عمرو الليثي:

- أبو الفتح الأزدي: حديثه محبوب إلي أهل الحديث، وليس بالقوي، حمل عنه الناس.
- أبو حاتم بن حبان البستي: يخطئ.

- إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: ليس بقوي الحديث.
- ابن حجر العسقلاني: صدوق له أوهام، ومرة: مشهور من شيوخ مالك احتج به الجماعة، صدوق تكلم فيه بعضهم من قبل حفظه.
- الدارقطني: ضعيف.
- وقد وثقه آخرون كالنسائي.

ابن حرملة (خالد بن عبد الله المدلجي):

- ابن حجر العسقلاني: مقبول، وكان يرسل، وقال في الإصابة: يقال له ولأبيه ولجده صحبة.
- وقد وثقه الذهبي.

وهناك رواية أخرى مشابه لما سبق ولكنها ليست عن يأجوج ومأجوج وإنما عن الترك:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ سُهَيْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ قَوْمًا ، وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ " وراه مسلم.
##

13- حدثنا أبو خيثمة، زهير بن حرب. حدثنا الوليد بن مسلم. حدثني عبدالرحمن بن يزيد بن جابر. حدثني يحيى بن جابر الطائي، قاضي حمص. حدثني عبدالرحمن بن جبير عن أبيه، جبير بن نفير الحضرمي؛ أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي. ح وحدثني محمد بن مهران الرازي (واللفظ له). حدثنا الوليد بن مسلم. حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، جبير بن نفير، عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة. فخفض فيه ورفع. حتى ظننناه في طائفة النخل. فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا. فقال "ما شأنكم؟" قلنا: يا رسول الله! ذكرت الدجال غداة. فخفضت فيه ورفعت. حتى ظننناه في طائفة النخل. فقال "غير الدجال أخوفني عليكم. إن يخرج، وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم. وإن يخرج، ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه. والله خليفتي على كل مسلم. إنه شاب قطط. عينه طافئة. كأني أشبهه بعبدالعُزَّى بن قطن. فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف. إنه خارج خلة بين الشام والعراق. فعاث يمينا وعاث شمالا. يا عباد الله! فاثبتوا" قلنا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض؟ قال "أربعون يوما. يوم كسنة.

ويوم كشهر. ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم" قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال "لا. اقدروا له قدره" قلنا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟ قال "كالغيث استدبرته الريح. فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له. فيأمر السماء فتمطر. والأرض فتنبت. فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر. ثم يأتي القوم. فيدعوهم فيردون عليه قوله. فينصرف عنهم. فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم. ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل. ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا. فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه. يضحك. فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم. فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. بين مهرودتين. واضعا كفيه على أجنحة ملكين. إذا طأطأ رأسه قطر. وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ. فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات. ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. فيطلبه حتى يدركه بباب لد. فيقتله. ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه. فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم. فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون. فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية. فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرة، ماء. ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه. حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه. فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم. فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض. فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله. فيرسل الله طيرا كأعناق البخت. فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر. فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة. ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك، وردي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة. ويستظلون بقحفها. ويبارك في الرسل. حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس. واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس. واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة. فتأخذهم تحت آباطهم. فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم. ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة". رواه مسلم والترمذي وابن ماجه، واللفظ لمسلم.

الوليد بن مسلم القرشي:

- أبو مسهر الغساني: من ثقات أصحابنا، ومرة: من حفاظ أصحابنا، ومرة: كان يحدث بأحاديث الأوزاعي عن الكذابين ثم يدلسها عنهم، ومرة: كان مدلسا ربما دلس عن الكذابين.
- أبو جعفر العقيلي: وهاه.
- أحمد بن حنبل: كان رفاعا، ومرة: كثير الخطأ، ومرة: اختلطت عليه أحاديث ما سمع وما لم يسمع، وكانت له منكرات، ومرة: ليس لأحد أروي لحديث الشامين منه وإسماعيل بن عياش، ومرة: ما رأيت من الشامين أعقل منه.
- ابن حجر العسقلاني: ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية، وقال مرة: مشهور متفق على توثيقه في نفسه وإنما عابوا عليه كثرة التدليس والتسوية.
- الدارقطني: يرسل، يروي عن الأوزاعي أحاديثه عن شيوخ ضعفاء عن شيوخ قد أدركهم مثل نافع وعطاء والزهري، فيسقط أسماء الضعفاء، ويجعلهم عن الأوزاعي عن عطاء يعني مثل عبد الله بن عامر الأسلمي، وإسماعيل بن مسلم.

يحيى بن جابر الطائي:

- ابن حجر العسقلاني: ثقة أرسل كثيرا.

عبد الرحمن بن جبير الحضرمي:

- محمد بن سعد كاتب الواقدي: ثقة وبعض الناس يستنكر حديثه.
- وهناك آخرون يوثقونه مثل ابن حجر العسقلاني والذهبي.

وهذا الحديث مطابق لحديث رقم 5، والملاحظة المتعلقة بمتن الرواية في حديث 5 تنطبق هنا كذلك.

##########

14- حدّثنا أَزْهَرُ بْنُ مَرْوَانَ. حدّثنا عَبْدُ الأَعْلَى .حدّثنا سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ.قال: حَدَّثَنَا أَبُو رَافِعٍ عَنْ أَبِي هَرَيْرَةَ؛ قَالَ:قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كَلَّ يَوْمٍ. حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَداً. فَيُعِيدُهُ اللهُ أَشَدّ

مَاكَانَ. حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثُهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا.حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا .فَسَتَحْفِرُونَهُ غَداً، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. وَاسْتَثْنَوْا .فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ. وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ .فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيَنْشِفُونَ الْمَاءَ .وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ. فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ. فَتَرْجِعُ، عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي احْفَظَّ. فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ. فَيَبْعثُ اللهُ نَغَفاً فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِعضا. رواه ابن ماجه.

سعيد بن أبي عروبة:

- أحمد بن حنبل: لم يكن له كتاب، كان يحفظ حديثه كله وكان يقول بالقدر ويكتمه، ومرة: قد حدث عن قوم ولم يسمع منهم شيئا، ودخل الكوفة قبل الهزيمة مرتين فمن سمع منه بالكوفة أو قبل الهزيمة فسماعه جيد، قاله ابن عدي.
- أبو محمد الأبنوسي: ثقة احتج به الشيخان، لكنه اختلط وطالت مدة اختلاطه فوق العشر سنين.
- أبو عيسى الترمذي: نقل عن البخاري، أنه قال: له سماع من الأعمش وهو يدلس ويروي عنه.
- أبو الفتح الأزدي: اختلط اختلاطا قبيحا.
- أبو أحمد بن عدي الجرجاني: من ثقات المسلمين من سمع منه قبل الاختلاط فإن ذلك صحيح حجة.

قتادة (ابن دعامة السدوسي):

- ابن حجر العسقلاني: ثقة ثبت، وفي مقدمة الفتح: ربما، وذكره في الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين، وهي التي لا يقبل حديث أصحابها إلا إذا صرحوا بالسماع، وقال مرة: أحد الأثبات المشهورين كان يضرب به المثل في الحفظ إلا أنه كان ربما دلس، احتج به الجماعة.
- الذهبي: عده من المدلسين في منظومته فيهم.
- وقد وثقه آخرون مثل: الدارقطني.

##########################

15- حدَّثنَا مُحمَّدُ بنُ بَشَّارٍ أخْبَرنا يَحْيَى بنُ سَعِيد أخْبَرنا هِشَامُ بن أبي عَبْدِ اللَّه عَنْ قَتَادَةَ عَنْ الْحَسَن عَنْ عِمرانَ بنِ حُصينٍ قَالَ كُناً معَ النَّبي صَلَّى اللَّه عليهِ وسَلَّم في سَفَرٍ فَتَفَاوَتَ بَيْنَ أصحابهِ في الَّسيْرِ، فَزَفَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عليهِ وسَلَّم صَوتَهُ بِهاَتِين الآيَتَيْنِ: {يا أيُّها النَّاس اتّقُوا رَبَّكُمْ إن زَلزَلَةَ السَّاعةِ شيءٌ عظِيمٌ - إلى قَولِهِ - وَلَكنَّ عَذَابَ اللَّه شَدِيدٌ} فَلَماً سَمِعَ ذَلِكَ أصحَابُهُ حَثُّوا المُطِيَّ وَعَرفُوا أنَّهُ عِندَ قولٍ يَقُولُه. فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ أيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟ قَالُوا اللَّه وَرَسُولُهُ أعْلَم. قَالَ ذَلِكَ يَوْمُ ينادِي اللَّه فيه آدَمَ فَيُنادِيهُ ربُّهُ فَيَقُولُ يا آدمُ ابْعَثْ بعْثَ النَّار فيَقُولُ أي رَبِّ وما بعْثُ النارِ؟ فيَقُولُ مِنْ كلِّ ألفٍ تِسعمائةٍ وتسعةٌ وتِسْعُونَ إلى النَّارِ وَوَاحدٌ إلى الجنَّةِ، فيَئِسَ القوْمُ حتَّى ما أبْدَوْا بضَاحِكَةٍ. فَلَمَّا رَأى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عليهِ وسَلَّم الَّذِي بأصْحَابِهِ قَالَ اعْمَلُوا وَأبْشِروا فَوَ الَّذِي نفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ إنّكمْ لَمعَ خَلِيْقَتَين مَا كَانَتَا مع شْيءٍ إلاّ كَثَّرَتَاهُ :يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ومنْ مَاتَ منْ بَني آدَمَ وبني إبْليس. قَالَ فسُرِّيَ عَنْ القَوْمِ بعضُ الَّذي يجَدُونَ، قَالَ اعمَلوا وأبْشِرُوا فَوَ الَّذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ ما أنْتُمْ في النَّاسِ إلا كالشَّامَةِ في جَنْبِ البَعِيرِ أَوْ كالرَّقْمة في ذِرَاعِ الدَّابّةِ" رواه الترمذي وأحمد، واللفظ لأحمد.

الحسن بن يسار(البصري):

- أبو حاتم بن حبان البستي: كان يدلس وكان من أفصح أهل البصرة وأعبدهم وأفقههم.
- ابن حجر العسقلاني: ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس.
- الدارقطني: مراسيله فيها ضعف.
- الذهبي: الإمام كان كبير الشأن رفيع الذكر رأسا في العلم والعمل كان من أئمة السنة والهدى، ومرة: كان الحسن يدلس.

وانتبه هنا أن التدليس لا يجرح الراوي ولكنه قد يجرح الرواية.

المراجع

ابن الفقيه، البلدان (القرن الرابع هجري) ، المكتبة الشاملة،
http://sh.bib-alex.net/boldan/Web/11685/001.htm

إسلام ويب، http://www.islamweb.net/hadith

سفر حزقيال 38،
http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?chapter=38&book=33

الباحث العربي – لسان العرب، http://www.baheth.info/

البحث في ألفاظ القرآن، http://www.alawfa.com

تفسير القرآن (الطبري والقرطبي وغيره)، http://quran.ksu.edu.sa/tafseer

تفسير القرآن (فتح القدير للشوكاني) ، http://www.altafsir.com

تفسير القرآن (الألوسي) http://shamela.ws/browse.php/book-22835

ضوء عمان، صور-قصة-حب-مع-النحل-العماني، شبكة بو نواف،
http://abunawaf.com/صور-قصة-حب-مع-النحل-العماني/

فؤاد صالح السيد (د.) معجم الالقاب والاسماء المستعارة فى التاريخ العربى والاسلامى،
https://books.google.com

قيس ظبيان، أهل الكهف.. آية من آيات الله عجباً قصة اكتشاف موقع أصحاب الكهف بجوار قرية الرقيم فى الأردن، http://www.dar.akhbarelyom.com/allewaa/?p=741

المسعودي، مروج الذهب (القرن الرابع الهجري)، الحكواتي،
http://al-hakawati.net/arabic/Civilizations/16.pdf

المحدث (موسوعة حديث)،
http://www.muhaddith.org/cgi-bin/a_Optns.exe

معاجم، http://www.maajim.com

معاجم، http://www.almaany.com

موقع الإسلام، http://hadith.al-islam.com

ويكي، أهل الكهف – الأردن، https://ar.wikipedia.org/wiki

Biblegateway, Ezekiel 38,
https://www.biblegateway.com/passage/?search=Ezekiel+38&version=NIV

Browning, Iain (1994 – 8th Ed) Petra, Chatto & Winds Ltd, UK

Catholic Encyclopedia,The Seven Sleepers of Ephesus, http://www.newadvent.org/cathen/05496a.htm
Facts and Details, TRANSPORTATION ALONG THE SILK ROAD, http://factsanddetails.com/world/cat52/sub331/item1182.html
Free World Maps, Caucasus Map, http://www.freeworldmaps.net/asia/caucasus/map.html
Glogalist, A Silk Road Caravan, http://www.theglobalist.com/a-silk-road-caravan/
Horst: Pieter W. van der Horst, Pious Long-Sleepers in Greek, Jewish, and Christian Antiquity, http://orion.mscc.huji.ac.il/symposiums/13th/papers/Horst.pdf
Pliny the Elder, (80 AD) The Natural History, http://www.perseus.tufts.edu/hopper/text?doc=Perseus%3Atext%3A1999.02.0137%3Abook%3D6%3Achapter%3D5
Silk Routes.net, Trade History of the Silk Road, Spice & Incense Routes, http://www.ipekyollari.net/SilkSpiceIncenseRoutes.htm
Unesco, Silk Road, http://en.unesco.org/silkroad/about-silk-road
Wiki, https://en.wikipedia.org/wiki/4_Baruch
Wiki, https://en.wikipedia.org/wiki/Jebe
Wiki, https://en.wikipedia.org/wiki/Greater_Caucasus
Wiki, https://en.wikipedia.org/wiki/Horizon
Wiki, https://en.wikipedia.org/wiki/Gog_and_Magog
Wiki, https://en.wikipedia.org/wiki/Horizon
Wiki, https://en.wikipedia.org/wiki/Silk_Road
Wiki, https://en.wikipedia.org/wiki/Spice_trade
Wiki, https://en.wikipedia.org/wiki/Subutai
Wiki-EP, Epimenides, https://en.wikipedia.org/wiki/Epimenides
Wiki-JoTB, https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Monastery_3.jpg

نبذة عن المؤلف

المؤلف يعمل في مجال الاستشارات الإدارية وتطوير أنظمة البيانات.

Masters Degree in Business Administration, Huddersfield University Business School, UK. (2002).
Masters Degree in "Computer Integrated Manufacturing and its Management", School of Engineering, University of Huddersfield. . (2003)

Postgraduate Certificate in Commercial Computing from the)2006(University of Gloucestershire. UK,

Level 4 NVQ (National Vocational Qualification) in Management from the "Charted Management Institute" UK-2006.
Postgraduate Diploma in "Strategic Management" from the "Institute of Management" - Huddersfield University Business School, UK. (2001).
Bachelor Degree in Electrical Engineering, United Arab Emirates .)1991(University, U.A.E.

NLP Master Practitioner – 2006.
Advanced Life Coaching – 2006.
Qualified ISO 9001 Lead Auditor – 2013.
Training of the Trainer (TOT) – 2013.
.Certified EFQM Assessor - 2015

Email: omar.robb@yahoo.com
Website: omr-mhmd.yolasite.com

مؤلفات سابقة للمؤلف

النهضة والذكاء الجماعي: أفكار منهجية في البحث والتحليل والإدارة تتعلق بالصفات الأساسية لنهضة الأمم (2012) مصر: مكتبة الآداب.

الأسرار في الإبداع: الإبداع والعبقرية ليستا بحاجة إلى ذكاء خارق، وإنَّما بحاجة فقط إلى صبرٍ في التَّفكير (2012)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

الجن ... ما نتوهمه لهم وما يمكن استنتاجه عنهم: نظرة منهجية تهدف لوضع موضوع الجن على قاطرة البحث العلمي (2012)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

العبرة الكبرى: النقمة التي تحل على أي شعب (أو أُمَّةٍ بِمَنْ فيهم العرب والمسلمين) يَرَوْنَ أنفسهم أنهم أفضل الشعوب وأذكى الشعوب وأشرف الشعوب وأَنَّ الكون كله يدور حولهم وأنه يحق لهم ما لا يحق لغيرهم (2012)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

السلسلة الإدارية:

إدارة الابتكار (2016) السلسلة الإدارية - الجزء الأول .

حسن الاستماع وإدارة الحوار (2016) السلسلة الإدارية - الجزء الثاني.

منهج الإبداع (2016) السلسلة الإدارية - الجزء الثالث.

مهارة الربط والتحليل المنطقي (2016) السلسلة الإدارية - الجزء الرابع.

تقييم الفعالية والكلفة والمخاطر (2016) السلسلة الإدارية - الجزء الخامس.

منهج التطوير (2016) السلسلة الإدارية - الجزء السادس.

إدارة المعرفة (2016) السلسلة الإدارية - الجزء السابع.

إدارة التميز (2016) السلسلة الإدارية - الجزء الثامن.

السلسلة الفكرية:

أصل الإنسان (2016) السلسلة الفكرية - الجزء الأول.

ذو القرنين وأهل الكهف (2016) السلسلة الفكرية - الجزء الثاني.

ملاحظة: بعض الكتب السابقة يمكن تنزيلها بصيغة الـ pdf من العنوان التالي:
omr-mhmd.yolasite.com